إعداد

حسن العراقي

مصر - ٠٠٢/٠١٠١٨٠٦٣١٢

السعودية - ٠٠٩٦٦٥٠٤٣٤٧٣٢٣

بسم الله الرحمن الرحيم

رؤية شرعية

للفتن والنوازل

في الساحة العراقية

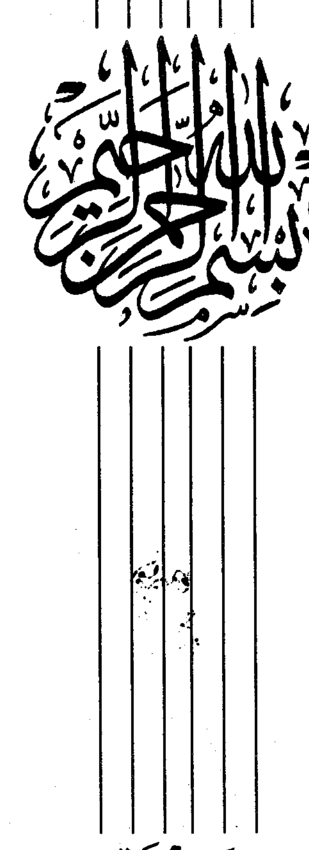

الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

رقم الإيداع: ١٧٠٥٩ / ٢٠٠٨م

مكتبة دار النصيحة

المملكة العربية السعودية ـ المدينة النبوية ـ حي الفيصلية ـ أمام الباب الجنوبي للجامعة الإسلامية

جوال: ٠٥٠٤/٣٤٧٣٢٣ - ت وفاكس: ٨٤٧٠٧٠٨

البريد الإلكتروني: Daralnasihaa@yahoo.com

تقديم فضيلة الشيخ الدكتور صالح بن سعد السحيمي عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية سابقًا

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله.

وبعد:

فقد قرأت البحث المقدم من أخينا فضيلة الشيخ «حسن العراقي» الموسوم:

«رؤية شرعية للفتن والنوازل في الساحة العراقية»

فألفيته بحثًا مباركًا نافعًا، يحتاج إليه كل طالب علم في هذا الزمان، لاسيما أن القواعد والمسائل التي أوضحها الباحث والمتعلقة بضوابط الجهاد وتطبيق ذلك علىٰ الواقع العراقي أمر في غاية الأهمية؛ لإزالة اللبس عن كثير من الشباب الذين لا يرجعون إلىٰ أهل العلم في هذه المسائل الخطيرة؛ إذ إنها من النوازل التي لا ينبغي أن يتصدىٰ لها إلا العلماء الراسخون في العلم.

وأحسب أن الشيخ حسنًا -وفقه الله- قد جلَّىٰ هذه المسائل، وذلك برجوعه إلىٰ منهج السلف وطريقة العلماء في كل ما بحث من قواعد ومسائل وأحكام.

وأرىٰ أنه صالح للنشر؛ لينتفع به شباب المسلمين.

وأسأل الله تعالىٰ أن يثقل به موازين الكاتب، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين؛ إنه جواد كريم.

وصلِّ اللهم علىٰ محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أملاه الفقير إلىٰ عفو ربه

صالح بن سعد السحيمي الحربي

في يوم الأربعاء

الثالث من شهر ربيع الثاني سنة ١٤٢٩هجرية

د. صالح بن سعد السحيمي الحربي
المدرس بالمسجد النبوي
موجه الدعاة بفرع وزارة الشؤون الإسلامية
بالمدينة النبوية
عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية (سابقاً)

Dr. Salih Saad Al-Suhaimi Al-Harbi
Teacher at the Mosque of the Prophet
Inspector of the Preachers in the Ministry of Islamic Affairs, Madinah Branch
Member, Teaching Staff at the Islamic University of Madinah Munawwarah

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فقد قرأت البحث المقدم من أخينا فضيلة الشيخ "حسن العراقي" الموسوم "رؤية شرعية للفتن والنوازل في الساحة العراقية" فألفيته بحثاً مباركاً نافعاً يحتاج إليه كل طالب علم في هذا الزمان لاسيما أن القواعد والمسائل التي أوضحها الباحث والمتعلقة بضوابط الجهاد وتطبيق ذلك على الواقع العراقي أمر في غاية الأهمية لإزالة اللبس عن كثير من الشباب الذين لا يرجعون إلى أهل العلم في هذه المسائل الخطيرة، إذ أنها من النوازل التي لا ينبغي أن يتصدى لها إلا العلماء الراسخون بالعلم، وأحسب أن الشيخ "حسن" وفقه الله، قد جلّى هذه المسائل، وذلك بإرجاعه إلى منهج السلف وطريقة العلماء في كل ما بحث من قواعد ومسائل وأحكام. وأرى أنه صالح للنشر لينتفع به شباب المسلمين.

أسأل الله تعالى أن يثقل به موازين الكاتب وأن ينفع به الإسلام والمسلمين إنه جواد كريم. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أملاه؛

الفقير إلى عفو ربه:

صالح بن سعد السحيمي الحربي

في يوم الأربعاء الثالث من شهر ربيع الثاني

سنة ١٤٢٩ هجرية

المملكة العربية السعودية - المدينة المنورة - ص ب ٦٤٧ - فاكس ٨٤٧٣٦٣٤ - جوال ٠٥٠٥٣١٠٦٩٢
Saudi Arabia - Al-Madina Al-Munawarah - P.O Box 647 - Fax 8473634 - Mob. 0505310692

تقديم فضيلة الشيخ عبيد بن عبد الله الجابري المدرس بالجامعة الإسلامية سابقًا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحدهُ لا شريك له، الملك الحق المبين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله سيد ولد آدم أجمعين، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه الطيبين الطاهرين وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فقد استعرضت البحث الموسوم:

«رؤية شرعية للفتن والنوازل في الساحة العراقية»

بقلم أخينا في الله الأستاذ «حسن بن خليل العراقي»؛ فألفيته بحثًا قيمًا مفيدًا، وذلك أن الكاتب -شكر الله له- قد بذل فيه جهدًا بارزًا كشف خلاله عمَّا تموج به الساحة العراقية من الفتن، وأتبع ذلك بما يجب علىٰ المسلم من موقف الحق حيال الفتنة في العراق وغيرها من الفتن مستندًا علىٰ الأدلة الشرعية التي يسعىٰ كل ذي بصيرة للوقوف عليها والاعتصام بها.

ولذا فإني أوصي كل مسلم سالكًا سبيل المؤمنين المهتدين، مجانبًا سبيل

الغاوين الضالين أن ينتفع به لاسيما إخواننا وأبناءنا في العراق.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

كتبه

عبيد بن عبد الله بن سليمان الجابري

المدرس بالجامعة الإسلامية سابقًا

مساء السبت الثامن والعشرين من ربيع الأول

عام تسعة وعشرين وأربعمائة وألف

الخامس من نيسان أبريل عام ثمانية وألفين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين واشهد أن لا إله إلا الله وحدهُ لا شريك له الملك الحق المبين واشهد أن محمداعبده ورسوله سيد ولد ادم أجمعين صلى الله عليه وعلى اله وأصحابه الطيبين الطاهرين وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين أما بعد ...

فقد استعرضت البحث الموسوم (رؤية شرعية للفتن والنوازل في الساحة العراقية) بقلم أخينا في الله الأستاذ/ حسن بن خليل العراقي فألفيته بحثا قيما مفيدا وذلك أن الكاتب شكر الله له قد بذل فيه جهدا بارزا كشف خلاله عن ما تموج به الساحة العراقية من الفتن واتبع ذلك بما يجب على المسلم من موقف الحق حيال الفتنة في العراق وغيرها من الفتن مستندا على الأدلة الشرعية التي يسعى كل ذي بصيرة للوقوف عليها والاعتصام بها ولذا فاني أوصي كل مسلم سالكا سبيل المؤمنين المهتدين مجانبا سبيل الغاوين الضالين أن ينتفع به لاسيما أخوننا وأبنائنا في العراق . وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين.

كتبه/ عبيد بن عبد الله بن سليمان الجابري

المدرس بالجامعة الإسلامية سابقا

مساء السبت الثامن والعشرين من ربيع الأول

عام تسعة وعشرين وأربع مئة وألف

الخامس من نيسان ابريل عام ثمانية وألفين

عبيد الجابري

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسولهﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد رسول الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار[1].

---

(١) **قال الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه خطبة الحاجة:** كان السلف الصالح يقدمونها بين يدي دروسهم وكتبهم ومختلف شئونهم.

وقال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هي ليست فرضًا حتىٰ لا تترك، بل قد يكون العكس وهو تركها أحيانًا حتىٰ لا يتوهم أحد فرضيته.

ثم أما بعد: فهذه رسالة بسيطة في معرفة بعض الأحكام الشرعية في بعض الأحداث والفتن في الساحة العراقية، حاولت فيها السير علىٰ طريقة أهل الحديث في الاعتماد بصورة أساسية علىٰ الإكثار من النصوص الشرعية من الكتاب والسنة، ثم ذكر أقوال العلماء بما تقتضيه الضرورة من ذكر قاعدة فقهية أو بيان لها؛ وذلك لأن ما يريد أن يُعبر عنه طالب العلم بصفحات قد يجده معبرًا عنه بعبارة واحدة لعالم من علماء السنة، هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرىٰ: لما جعل الله لكلام العلماء من قبول عند الناس الذين لم تتلوث فطرهم، وعند طلبة العلم الذين لازالوا علىٰ البيضاء النقية والصراط المستقيم، ولم يتأثروا بالأفكار والمناهج المنحرفة عن الحق، وإن كانوا قليل ومستضعفين، لكن الغلبة والنصر والتمكين عاقبتهم بإذن الله تعالىٰ.

وقد اقتضت سنة الله في خلقه أن يبتلي أهل الإيمان في كل وقت ومكان لحكمة بالغة علمها من علمها وجهلها من جهلها، وأفعال الله تعالىٰ لا تكون إلا لحكمة كما هو مقرر في عقيدة أهل السنة والجماعة؛ خلافًا لغيرهم من أهل البدع.

قال تعالىٰ: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت:٢-٣].

قال السعدي في التفسير: «يخبر تعالىٰ عن [تمام] حكمته، وأن حكمته لا تقتضي أن كل من قال: إنه مؤمن، وادعىٰ لنفسه الإيمان، أن يبقوا في حالة يسلمون فيها من الفتن والمحن، ولا يعرض لهم ما يشوش عليهم إيمانهم وفروعه.

فإنهم لو كان الأمر كذلك، لم يتميز الصادق من الكاذب، والمحق من المبطل، ولكن سنته وعادته في الأولين وفي هذه الأمة، أن يبتليهم بالسراء والضراء، والعسر واليسر، والمنشط والمكره، والغنىٰ والفقر، وإدالة الأعداء عليهم في بعض

الأحيان، ومجاهدة الأعداء بالقول والعمل، ونحو ذلك من الفتن التي ترجع كلها إلىٰ فتنة الشبهات المعارضة للعقيدة، والشهوات المعارضة للإرادة.

فمن كان عند ورود الشبهات يثبت إيمانه ولا يتزلزل، ويدفعها بما معه من الحق، وعند ورود الشهوات الموجبة والداعية إلىٰ المعاصي والذنوب، أو الصارفة عمَّا أمر الله به ورسوله، يعمل بمقتضىٰ الإيمان، ويجاهد شهوته، دلَّ ذلك علىٰ صدق إيمانه وصحته.

ومن كان عند ورود الشبهات تؤثر في قلبه شكًّا وريبًا، وعند اعتراض الشهوات تصرفه إلىٰ المعاصي أو تصدفه عن الواجبات، دلَّ ذلك علىٰ عدم صحة إيمانه وصدقه.

والناس في هذا المقام درجات لا يحصيها إلا الله، فمستقل ومستكثر، فنسأل الله تعالىٰ أن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وأن يثبت قلوبنا علىٰ دينه، فالابتلاء والامتحان للنفوس بمنزلة الكير، يخرج خبثها وطيبها». اهـ

وما أروع ما قاله الإمام ابن بطة في مقدمة كتابه الإبانة حيث وصف أهل الغربة وما أصابهم؛ فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «يا إخواني، عصمنا الله وإياكم من غلبة الأهواء ومشاحنة الآراء، وأعاذنا وإياكم من نصرة الخطأ، وشماتة الأعداء، وأجارنا وإياكم من غِيَرِ الزمان، وزخاريف الشيطان؛ فقد كثر المغترون بتمويهاتها، وتباهىٰ الزائغون والجاهلون بلبسة حلتها، فأصبحنا وقد أصابنا ما أصاب الأمم قبلنا، وحل الذي حذرناه نبينا ﷺ من الفرقة والاختلاف، وترك الجماعة والائتلاف، وواقع أكثرنا الذي عنه نُهينا، وترك الجمهور منا ما به أمرنا، فخلعت لبسة الإسلام، ونزعت حلية الإيمان، وانكشف الغطا، وبرح الخفا، فعبدت الأهواء، واستعملت الآراء، وقامت سوق الفتنة، وانتشرت أعلامها، وظهرت الردة،

وانكشف قناعها، وقدحت زناد الزندقة فاضطرمت نيرانها، وخلف محمد ﷺ في أمته بأقبح الخلف، وعظمت البلية، واشتدت الرزية وظهر المبتدعون، وتنطع المتنطعون، وانتشرت البدع، ومات الورع، وهتكت سجف المشاينة، وشهر سيف المحاشة بعد أن كان أمرهم هينًا، وحدهم لينًا.

وذاك عندما كان أمر الأمة مجتمعًا، والقلوب متآلفة، والأئمة عادلة، والسلطان قاهرًا، والحق ظاهرًا، فانقلبت الأعيان، وانعكس الزمان، وانفرد كل قوم ببدعتهم، وحُزِّب الأحزاب، وخولف الكتاب، واتخذ أهل الإلحاد رءوسًا أربابًا، وتحولت البدعة إلىٰ أهل الاتفاق، وتهوك في العسرة العامة وأهل الأسواق، ونعق إبليس بأوليائه نعقة؛ فاستجابوا له من كل ناحية، وأقبلوا نحوه مسرعين من كل قاصية، فألبسوا شيعًا، وميزوا قطعًا، وشمتت بهم أهل الأديان السالفة، والمذاهب المخالفة، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وما ذاك إلا عقوبة أصابت القوم عند تركهم أمر الله، وصدفهم عن الحق، وميلهم إلىٰ الباطل، وإيثارهم أهواءهم، ولله عَزَّ وَجَلَّ عقوبات في خلقه عند ترك أمره، ومخالفة رسله، فأشعلت نيران البدع في الدين، وصاروا إلىٰ سبيل المخالفين، فأصابهم ما أصاب من قبلهم من الأمم الماضين، وصرنا في أهل العصر الذين وردت فيهم الأخبار، ورويت فيهم الآثار.

ليعلم العقلاء من المؤمنين وذوو الآراء من المميزين أن أخبار الرسول ﷺ قد صحت في أهل زماننا، فليستدلوا بصحتها علىٰ وحشة ما عليه أهل عصرنا، فيستعملوا الحذر من موافقتهم ومتابعتهم، ويلزمون اللجاء والافتقار إلىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ في الاعتصام بحبله، والتمسك بدينه، والمجانبة والمباعدة ممن حادَّ الله في أمره» الإبانة الكبرىٰ لابن بطة (ج ١/ ص ٢).

وقال -رحمه الله تعالىٰ- في موضع آخر من كتابه الإبانة: «فإنا قد أصبحنا في زمان قَلَّ من يسلم له فيه دينه، والنجاة فيه متعذرة مستصعبة إلا من عصمه الله، وأحياه بالعلم». الإبانة الكبرىٰ لابن بطة (ج ١/ ص٢٧٧).

وهذا في زمانه -رحمه الله تعالىٰ-، فكيف بزماننا الذي انتشر فيه الباطل بكل صنوفه، وكثر أهله، وانتشرت وسائله، والله المستعان، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وهذه الرسالة البسيطة تبين بعض ما أصاب الأمة من وقوع الفتن وتسلط الأعداء عليها وانتهاب خيراتها، وما يحدث في العراق مَنْ صنوف وأنواع الفتن، وانتشار البدع، وتسلط أهلها ما هو إلا صورة من صور واقع الأمة المرير الذي تمر به الأمة جمعاء.

وحاولت أن أعزز هذه الرسالة بنصائح من بعض من التقيت بهم من علماء الدعوة السلفية؛ فمن العلماء -بارك الله فيهم أجمعين- من استطعتُ أن أسجل اللقاء وأوثقه وأنشره، ومن العلماء من لم أستطع أن أسجل اللقاء لظروف معينة، ولكن جميع العلماء الذين التقيت بهم كانت نصائحهم تدور حول ضرورة اعتزال الفتن في العراق خاصة، وبيان خطر الجماعات الحزبية، وتحذير الشباب من التوجه إلىٰ العراق؛ وذلك لاختلاط الأوراق، وانتشار الفوضىٰ هناك، وكذلك ضرورة عدم السماع لبعض المتحمسين الذين ينصحون الشباب بالتوجه إلىٰ العراق.

وأدعو الله -جل وعلا- أن يجعل هذه الرسالة خالصة لوجه الكريم، وأن ينفع بها كل مسلم؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلِّ اللهم علىٰ محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

كتبه/ **حسن العراقي**

٣٠ صفر ١٤٢٩ هـ

تمهيد

قسمت هذه الرسالة إلىٰ الفصول والمباحث الآتية:

المدخل: وصايا بعض العلماء إلىٰ أهل السنة في العراق، وعلىٰ ضوء هذه الوصايا ألفت هذه الرسالة البسيطة.

الفصل الأول: ويشمل المباحث الآتية:

أولًا: تعريف الفتن لغة واصطلاحًا.

ثانيًا: تعريف الملاحم.

ثالثًا: من معاني الفتنة في القرآن:

الكفر، القتل، الإضلال، الجنون، العذاب، بمعنىٰ الفوضىٰ، الإحراق، الضلالة، المعذرة، الإثم، العقوبة، المرض.

رابعًا: أنواع الفتن:

الفتن العامة، الفتن الخاصة.

خامسًا: ذكر بعض صفات الفتن:

فتن يكثر فيها إراقة الدماء، فتن تغربل الناس غربلة، فتن كقطع الليل المظلم، فتن فيه تقل الأمانة، فتن عمياء صماء، فتن كالقطر من السماء، فتن كرياح الصيف، فتن تعرض علىٰ القلب عودًا عودًا، فتن كأنها الجبال، فتن يرقق بعضها بعضها، فتنة الأحلاس، فتن الدهيماء.

سادسًا: أقسام الناس في زمن الفتن:

١ - العالم الرباني.

٢ - والمتعرض لها الساعي لها، وهو وقود فتنة.

٣- طالب العلم المريد للحق.

٤ - عوام الناس.

سابعًا: أسباب الوقوع في الفتن:

١ - الجهل.

٢ - ظهور أئمة الضلال.

٣- مخالفة هدي النبي ﷺ.

٤ - الخلل في منهج التلقي.

٥ - الغلو في الدين.

٦ - ترك المحكم واتباع المتشابه.

٧- حب الإمارة والرياسة.

٨- حب المال.

ثامنًا: أسباب النجاة من الفتن:

١ - تقوىٰ الله تعالىٰ.

٢ - كثرة الاستعاذة بالله من الفتن.

٣- تحقيق الإيمان.

٤ - متابعة الرسول ﷺ.

٥ - التمسك بمنهج السلف.

٦ - لزوم العلماء الربانين.

٧- لزوم الجماعة.

٨- اعتزال الفتن.

٩- الصبر.

١٠- الإكثار من الطاعات.

تاسعًا: وجوب اعتزال الفتن وخطورة استشرافها.

الفصل الثاني: تحريم دم المسلم بغير حق، ذكر أدلة من القرآن والسنة علىٰ ذلك.

الفصل الثالث: رؤية شرعية للفتن والأحداث في الساحة العراقية.

ويشمل المباحث الآتية:

المبحث الأول: تعريف النوازل لغة واصطلاحًا.

المبحث الثاني: ضوابط معرفة النوازل.

المبحث الثالث: أقسام النوازل.

المبحث الرابع: تعريف القواعد الفقهية.

المبحث الخامس: تعريف الضوابط الفقهية.

المبحث السادس: أهمية القواعد الفقهية، وبيان أنه لا يستغني عنها العالم وطالب العلم.

المبحث السابع: ذكر بعض القواعد والضوابط الفقهية التي لها علاقة كبيرة في زمن الفتن، ومنها:

١- **النظر إلىٰ المآلات:** معناها، وأدلتها، وكيفية الاستفادة منها في الساحة العراقية.

٢- **سد الذرائع:** معناها، وأدلتها، وكيفية الاستفادة منها في الساحة العراقية.

٣- **درء المفاسد مقدم علىٰ جلب المصالح**: معناها، وأدلتها، وكيفية الاستفادة منها في الساحة العراقية.

٤- **دفع أعلىٰ المفسدتين باحتمال أدناهما**، مع ذكر كلام نفيس لشيخ الإسلام في تطبيقها.

٥- **درء المفاسد المجمع علىٰ تركها مقدم علىٰ المفاسد المختلف في تركها**، وذكر مثال في تطبيقها.

٦- **ما يفضي إلىٰ الضرر في ثاني الحال يجب المنع منه في أوله**، وبيان كيفية الاستفادة منها في الواقع العراقي.

٧- **المصلحة العامة مقدمة علىٰ المصلحة الخاصة**، مع ذكر مثال واقعي في تطبيقها من الساحة العراقية.

٨- **عدم الحكم علىٰ الشيء قبل تصوره**، وبيان أهمية هذه القاعدة في النازلة العراقية وخصوصًا لمن يعيش خارج البلاد.

٩- **يجب علىٰ المفتي الحذر في الفتوىٰ**، وذكر كلام نفيس للإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معناها.

١٠- **ليس كل ما يعلم يقال**، وذكر كلام للسلف في ذلك.

١١- **الضرر لا يزال بالضرر**.

١٢- **بيان أن التكاليف الشرعية لا تلزم الإنسان إلا بعد الاستطاعة**.

الفصل الرابع: بيان الأحكام الشرعية في بعض النوازل العراقية، وفيه المباحث الآتية:

١- **المبحث الأول**: حكم الجهاد في العراق وفيه:

تعريف الجهاد، أنواع الجهاد، فضل الجهاد، المراحل التي مرَّ بها الجهاد،

شروط الجهاد، مراتب الجهاد، وذكر كلام نفيس لابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذلك، غاية الجهاد، الفرق بين الجهاد والإرهاب مع ذكر تعريف مهم للإرهاب صادر عن المجمع الفقهي، من يفتي في الجهاد.

٢- **المبحث الثاني**: حكم ضرب الكافر المتترس بالمسلمين:

أصل هذه المسألة.

أقوال العلماء فيها.

بيان الراجح من أقوال العلماء.

المبحث الثالث: عمليات تفجير النفس على الأعداء وفي أسواق المسلمين، وبيان انتشار هذه العمليات في العراق بين الشباب والشابات على حد سواء.

أصل هذه المسألة، أقوال العلماء فيها.

المبحث الرابع: حكم إقامة الحدود عند غياب السلطان.

فضل إقامة الحدود، بيان عدم جواز إقامة الحدود إلا من السلطان أو من ينوب عنه، حوار مهم في القضية العراقية.

الفصل الخامس: **إخبار الرسول ﷺ في وقوع الفتن في العراق.**

الفصل السادس: **أهم أسباب سقوط بغداد على يد التتار.**

الفصل السابع: **صفحات مطوية من الساحة العراقية خلال سنوات الاحتلال، وفيه:**

الحروب التي مرَّت بهذه البلاد قبل الاحتلال الأخير.

مرحلة الحصار الاقتصادي وبيان أثره على الناس.

وصف محزن لما أصاب البلاد عند الاحتلال يذكر بما أصاب بغداد في زمن التتار.

بيان الصفحات التي مرَّ بها البلد في هذه السنوات.

بيان خطر الحرب الطائفية التي مرَّت بالبلد.

التعريف بـ: مدينة الفلوجة من الناحية الجغرافية والاجتماعية والعقائدية، وبيان أنه يغلب عليها عقيدة التصوف، وكيف استطاع الإعلام أن يجعل من الفلوجة فخ لاستقطاب الشباب المتحمس، ثم القضاء عليه.

بيان الأسباب التي أدت إلىٰ الصراعات بين الفصائل المسلحة.

بيان الأسباب التي أدت إلىٰ اتفاق العشائر لمقاتلة تنظيم القاعدة في العراق، وهذا من غرائب النازلة العراقية.

الخاتمة: نصيحة مهمة لشباب التوحيد.

❊ ❊ ❊

نصائح بعض علماء السنة
إلى أهل السنة في العراق

من العراق المحتل إلىٰ مشايخ العصر (هام ومستعجل).

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

إلىٰ بقية السلف الصالح وإلىٰ أكابر العصر، نقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

هذه مجموعة من الأسئلة نرجو من حضراتكم الإجابة عليها سريعًا، وجزاكم الله خيرًا.

السؤال الأول: أصبح العراق بلدًا محتلًّا بشهادة القاصي والداني، بل شهادة المحتل نفسه كما لا يخفىٰ، فهل أصبح جهاد السيف والسنان في هذا الوقت فرض عين، علمًا أنه لا يوجد أمير تجتمع عليه كلمة المقاتلين الآن؛ لتعدد الأحزاب والمناهج، ولا توجد راية، والعدة التي يمتلكونها هي بقايا سلاح النظام البائد، ولا يستطاع أن يواجه بها العدو.

بل الأمر مكيدة ومصيدة وتفجير هنا وهناك عمليات قد تكون داخل المدن والشوارع الآهلة بالسكان، مما ينتج عنها أحيانًا إطلاق نار عشوائي من قبل المحتلين، ويسقط عدد من العراقيين الأبرياء نتيجة هذه العملية وذاك الانفجار، وقد حدث هذا فعلًا في مناطق من بغداد وغيرها، فقامت قوات الاحتلال بتفتيش المنطقة، وانتهاك البيوت، وأسر عدد كبير من الأهالي بسبب عملية عسكرية أوقعت ضررًا بالمحتل؟

إجابة الشيخ ربيع بن هادي المدخلي إلى الإخوة السائلين في العراق -وفقهم الله-:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أما بعد:

فهذه إجابات أسئلتكم:

جواب السؤال الأول: (أ) قلتم في السؤال الأول: أصبح العراق بلدًا محتلًّا بشهادة القاصي والداني، وبشهادة المحتل نفسه.

فأقول: إن العراق أصبح محتلًّا منذ قامت الثورة الشيوعية فحكموها ثم خلفهم البعثيون، والحركات التي تقاوم الاحتلال الجديد لاشك أنها تكفر الشيوعية والبعثية، فما هو السر في عدم جهادهم لقتال الاحتلال الأول؟

فإن قالوا: العجز.

قلنا: أنتم الآن أشد عجزًا.

وإن قالوا: المحتل الأول عربي مواطن.

قلنا: إن الرسولﷺ وأصحابه بدءوا بجهاد العرب المواطنين الأقربين.

وقلتم: هل الجهاد فرض عين؟

فأقول: نعم هو فرض عين علىٰ أهل العراق، ولكن فرض العين قد يسقط عند العجز؛ فالحج ركن من أركان الإسلام ولا يجب في العمر إلا مرة علىٰ المستطيع، وصلاة الجمعة تسقط عن المسافر وهي فرض عين، وصلاة الظهر والعصر والعشاء تسقط من كل منها ركعتان وهي فرض عين علىٰ المسافر من أجل المشقة، فضلًا عن العاجز عنها، والعاجز عن القيام والقعود في الصلاة يسقطان عنه للعجز وهما من فروض الأعيان.

وأهل العراق في نهاية العجز، فلا قبل لهم بجهاد أمريكا وحلفائها ومؤيديها من الشرق والغرب، فأين السلاح الجوي والبري والبحري الذي أمر الله بإعداده بقوله تعالىٰ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠] ؟

فهذه المقاومة الهزيلة التي تقوم بها الحركات عندكم لا تزيد العدو إلا طمعًا فيكم وفي بلدكم، ولاسيما وليس لهذا الجهاد راية إسلامية، وسلاحها من بقايا النظام البائد كما ذكرتم.

ولاسيما وهو يؤدي إلىٰ إهلاك الأبرياء، وانتهاك حرماتهم وأعراضهم، واعتقال الكثير منهم، الأمر الذي لا يعد أن يكون تحريشًا يعقبه هروب المحرشين، وترك أهل المدن والقرىٰ لتسلط المحتل عليهم بالقتل والإذلال والاعتقال، هذا من الناحية المادية.

أما الناحية المعنوية: فأهل العراق الأغلبية الساحقة فيه من الفئات المنجرفة والفئات الملحدة، وهم بقلوبهم ومشاعرهم مع المحتل الجديد، إن لم نقل ويساعدونهم، مما يزيد الأمر شدة وصعوبة علىٰ الحركات الهزيلة التي تريد

المقاومة من غير مراعاة لسنن الله الكونية والشرعية المشروطة في الجهاد، من الإيمان الصحيح، والعقيدة الصحيحة، والأعمال الصالحة، ومن إعداد القوة التي ترهب العدو؛ فمؤهلات النصر والضفر مفقودة.

وعليه؛ فعلىٰ المسلمين في العراق وغيرهم من بلاد الإسلام أن يعودوا إلىٰ الله، وإلىٰ التمسك بكتاب ربهم وسنة نبيهم، وما كان عليه أصحابه والخلفاء الراشدون من عقائد صحيحة، وأعمال صالحة، وعليهم التخلص من العقائد الفاسدة من القول بالحلول ووحدة الوجود، وتعطيل صفات الله -جل وعلا-، ومن ضلال الخوارج، والروافض، والجهمية، والمعتزلة، والمرجئة في أبواب الدين كلها، وبذلك يصبحون حزب الله، وبهذا وبذاك يستحقون النصر والظفر علىٰ الأعداء.

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد:٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [النور:٥٥].

فما وعدهم الله بالاستخلاف في الأرض إلا بإيمانهم الصادق بكل أصول الإيمان، وإلا بقيامهم بالعمل الصالح المطلوب منهم، والمستمد من شرعه.

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات:١٧١-١٧٣].

ولن نكون جند الله الغالبين إلا بالتزامنا الصادق، واتباعنا لكتاب الله وسنة رسولهﷺ، وما كان عليه أصحاب رسول اللهﷺ من عقائد صحيحة، ومنهج قويم،

وعمل صحيح، وبدون ذلك فلن تستحق الأمة إلا الذل والهوان وتسليط الأعداء الأمر الذي وقع وهو واقع.

والحركات العاطفية العشوائية المزيفة لن ترفع هذا الواقع الأليم، بل لا تزيده إلا رسوخًا، فالأمة تحتاج إلىٰ عقلاء حكماء صادقين يسعون جادين مخلصين في رفع هذا الواقع الأسود، بما أرشدنا إليه الناصح الأمين ألا وهو العودة إلىٰ دين الله الحق، بوضع منهج واحد للأمة، ألا وهو ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه: عقيدة، وعبادة، وسياسة، وأخلاقًا، وتطهير هذا المنهج والاعتقاد من كل الشوائب التي ساقت الأمة إلىٰ هذا الواقع الأليم الأسود المر، والأمة تحتاج إلىٰ الوعي الكامل الصحيح الذي يحفظ دينها وعقلها من الأباطيل والترهات والشعارات المزيفة، وخداع أهلها وتلاعبهم بعقول وعواطف هذه الأمة، التي هي الضحية لهذه الترهات والشعارات، وصلِّ اللهم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وسلم[1].

*   *   *

---

(١) اختصرت علىٰ هذه الأسئلة فقط لأهميتها، وكانت هناك أسئلة أخرىٰ أجاب عليه فضيلة الشيخ العلامة ربيع بن هادي المدخلي -حفظه الله- وقد نفع الله -جل وعلا- بهذه الوصية ووصايا غيره من علماء السنة بحق نفعًا كبيرًا علىٰ خلاف فتاوىٰ الحركيين، التي جلبت لأهل السنة الكثير من الدمار والمصائب.

فانظر أخي الكريم إلىٰ أي الفريقين أحق بأن يتبع ويوثق به في الفتوىٰ؟

وكانت وصية الشيخ ربيع -حفظه الله- في الأشهر الأولىٰ من الاحتلال، ثم عرضت علىٰ الشيخ في شهر صفر عام ١٤٢٩هـ، فأقر الشيخ هذه الوصية.

نصيحة فضيلة الشيخ أحمد النجمي -عافاه الله- إلى السلفيين في العراق:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

فإني أنصح أخواني طلاب العلم الشرعي: أنصحهم باتباع كتاب الله الذي أمر الله -جل وعلا- باتباعه في كتابه؛ قال تعالى: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:٣].

وقال تعالى: ﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام:١٠٦].

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥٣].

وفي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية:١٨].

واتباع سنة رسول الله، اتباع سنته -عليه الصلاة والسلام-؛ فهذا هو سبيل النجاة؛ قال الله ﷻ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ﴾ [الحشر:٧].

وقال ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب:٣٦].

وقال ﷻ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران:٣١]، إلى غير ذلك من الآيات.

وقال -عليه الصلاة والسلام-: «**والذي نفسي بيده، لا يسمع بي أحد يهودي ولا نصراني ثم لم يؤمن بي إلا كان من أهل النار**».

فيجب عليك يا عبد الله أن تتبع رسول الله ﷺ؛ فباتباعك لسنته المدونة في الكتب التي دونت سنته، وهي صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن أبي داود، وسنن الترمذي، وسنن النسائي، وسنن ابن ماجه، ومسند الإمام أحمد، وما كتبه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ من التمييز بين الأحاديث الصحيحة والضعيفة كصحيح الجامع وملحقاته، والأحاديث الصحيحة والأحاديث الضعيفة، إلىٰ غير ذلك.

الانشغال بسنة رسول الله ﷺ وبمعرفتها، وبمعرفة آثار السلف الصالح، والاطلاع علىٰ سيرهم من الكتب المعدة لذلك كالبداية والنهاية لابن كثير، وسير أعلام النبلاء للذهبي، وغير ذلك من الكتب.

وهكذا الكتب التي دونت فيها مقالات أهل السنة ككتاب الاعتصام للشاطبي، وكتاب السنة للالكائي، وكذلك الإبانة الصغرىٰ والكبرىٰ لابن بطة، وكذلك كتاب التوحيد لابن خزيمة وما كتبه غيرهم من العلماء -رحم الله الجميع-.

يجب أن نعود لهذه الكتب ونأخذ منها، وإياكم يا أخواني وبنيات الطريق من الحزبيات الظالمة، الحزبيات الجائرة التي تأمر باتباع من لم يكن معصومًا في شذوذاته وأهوائه -والعياذ بالله-، وترك ما أمر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ به في كتابه وعلىٰ لسان رسوله ﷺ.

والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أمرنا باتباع سبيل المؤمنين؛ قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥].

والمهم هذه الكتب التي أشرت إليها وغيرها يجب أن نعتني بها ونقرأها

ونتدارسها دائمًا وأبدًا، وأن نجعل الأعمال التي جاء ما يثبتها عند الله في كتابه أو في سنة رسول الله ﷺ وما جرىٰ عليه السلف الصالح علينا أن نأخذ بها ونسير عليها.

ولا تنسوا أن تسألوا الله ﷻ الثبات علىٰ الحق عن كل ما يؤثر علىٰ الإنسان ويحوله عن طاعة الله، عن طاعة ربه سبحانه وتعالى، وعن طاعة رسوله ﷺ، واتباع سلفه الصالح، هذا الذي أوصيكم به أن يكون الإنسان دائمًا علىٰ اتصال بربه يسأله الثبات.

اللهم نسألك الثبات علىٰ الأمر، والعزيمة علىٰ الرشد، ونسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك، ونسألك قلوبًا سليمة وألسنة صادقة، ونسألك من خير ما تعلم، ونعوذ بك من شر ما تعلم؛ إنك تعلم ولا نعلم، وأنت علام الغيوب.

وينبغي لإخواني السلفيين بألا يسمعوا للكلام والقول الذي يصدر من المخالف بأننا نجتمع ولو علىٰ غير الحق ومنهج السلف، ونسلك مسلك الحوار كما يقولون أو ما أشبه ذلك، وأننا نجتمع ضد كذا وكذا.... هذا كلام باطل لا يجوز لأهل الحق أن يجتمعوا مع أهل الباطل، وهذا ما هو إلا خدعة؛ وإلا فإن النصر لا يكون إلا للحق وحده، وأما الباطل فيجب أن تكونون عليه لا معه، ولا يجوز أن نسمع لهذا الكلام الذي يريدون أن يُحوُلونا عمَّا نحن عليه.

نحن علىٰ الحق، نسير علىٰ كتاب الله، وعلىٰ سنة رسول الله ﷺ، وعلىٰ منهج السلف الصالح من الصحابة -رضوان الله عليهم أجمعين-، ومن بعدهم من أهل الحديث وأهل الاتباع، وأصحاب الرواية، والذين يسيرون مع النصوص يسيرون معها حيث سارت، ويقفون معها حيث وقفت، ويوالون من تجب موالاته، ويعادون من تجب معاداته.

هذا هو الواجب علىٰ المسلمين، وما نصر الله أهل الحق إلا بالحق الذي

سلكوه؛ فالنبي ﷺ كما لا يخفاكم دعا بالحق وحده، وكان أعداء الإسلام كلهم ضده، مع ذلك نصره الله، لم يمد يده إلىٰ أحد من الناس غير الحق وغير ما جاء بالحق، فيا عباد الله الواجب علينا أن نسير مع الحق، هذا هو الواجب علينا كما أمر النبي ﷺ، أما أهل الأهواء فيريدون منا أن نكون معهم، ولكن لا ينبغي لطالب العلم السلفي الذي يسير علىٰ الدين وعلىٰ كتاب الله وسنة رسول الله، وعلىٰ فهم السلف الصالح أن يكون مع هؤلاء، هذا ما أنصحكم به.

وإذا كانت المصلحة تقتضي في الوقت الحاضر أن يهاجر السلفي حفاظًا علىٰ حياته ومنهجه وعقيدته إلىٰ المحلة التي فيها أمان نسبي؛ فهذا الأمر مشروع، والمسلم عندما ينتقل إلىٰ هذا المكان ليعبد الله ﷻ ، وليؤدي ما أمر الله تعالىٰ، فهو منحاز إلىٰ فئة، وهذا ليس انهزامًا، وإنما انحياز إلىٰ فئة.

والله ﷻ أباح ذلك، إذ إن الإنسان إذا رأىٰ أن الشر كثير ومستطير ومحيط به من جميع النواحي خير له أن يأوي إلىٰ إخوانه في المحل الذي يكون فيه شيء من الأمن حتىٰ يحكم الله وهو خير الحاكمين.

وصلىٰ علىٰ محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم[1].

❊ ❊ ❊

---

(١) وجَّه الشيخ -حفظه الله تعالىٰ- هذه النصيحة عبر الهاتف في (١٧ من ذي الحجة ١٤٢٧ للهجرة) يوم الجمعة الساعة الثانية عصرًا، وهي مسجلة في تسجيلات ابن رجب في المدينة النبوية.

وصية فضيلة الشيخ عبيد الجابري -سدده الله- إلى أهل السنة في العراق:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيد المرسلين وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

فأسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يفرِّج علىٰ أهل السنة في العراق، وأن يحرس العراق من كل مكروه، وأن يجمع خاصتها وعامتها علىٰ ما أحبه الله من دين الإسلام؛ فإنه لا يستقيم حال العباد والبلاد إلا علىٰ البيضاء النقية التي تركنا عليها الرسول -عليه الصلاة والسلام- وحضنا عليها، وأخبرنا أنه لا يزيغ عنها إلا هالك، كما أخبر النبي -عليه الصلاة والسلام- عن هذه الأمة، وأنه ستفترق علىٰ ثلاث وسبعين فرقه كلها في النار إلا واحدة. قالوا: من هي؟ قال: «**الجماعة**».

وهذه الرواية هي الصحيحة وفسرها ابن مسعود أن الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك، فإنك أنت الجماعة، وفي رواية أخرىٰ: قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «**من كان علىٰ مثل ما أنا عليه وأصحابي**»، وهذه الرواية من حيث إسنادها ضعيفة، ولكن من حيث معناها صحيحة ولهذا يحسنها بعض أهل العلم.

وحاصل ما دل عليه هذا الحديث الصحيح بمجموع طرقه: أن الأمة الإسلامية قسمان: قسم هم أهل الحق الخالص المحض، وهم خاصة محمدﷺ، وهذه الجماعة هي الجماعة، هي الطائفة المنصورة، والفرقة الناجية التي قال عنها

الرسولﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي علىٰ الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم**»، وهم السلفية أهل السنة والجماعة، وهم أهل الأثر، وهم أهل الحديث.

وأما القسم الثاني: قسم أهل الضلالة، وقسم أهل البدعة، وأهل الفرقة، وهم اثنان وسبعون فرقة، وهذه الفرق كلها هالكة متوعدة بالوعيد الشديد، كما قال -عليه الصلاة والسلام-: «**كلها في النار**»، أي: أنها متوعدة.

فإذا تقرر هذا، فرسالتي إلىٰ أبنائي من أهل السنة من أهل العراق -فرَّج الله عنهم وقوَّىٰ عزيمتهم وشدَّ أزرهم-:

أولًا: ليس بغريب أن يتكالب عليكم أهل البدع مهما اختلفت مسمياتهم، ومنهم الرافضة، وهذا شأن أهل الحق وأهل الباطل هم في صراع منذ عهد الرسول ﷺ وحتىٰ يأتي أمر الله، وليس غريب أن يروح جراء هذا التكالب رجال أو أطفال أو نساء فيقتلون أو يشردون.

ثانيًا: أوصيهم بالصبر علىٰ ما أصابهم، وأذكرهم بقول الرسولﷺ لابن عمه ابن عباس ﷺ في الحديث الطويل قال: «**واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب**».

وفي معنىٰ هذا الحديث وصايا من أئمة السلف الصالح، وكلمات عليها نور من هدي النبوة.

ومن تلكم الوصايا:

قول الفضيل بن عياض: «عليك بطرق الهدىٰ ولا يضرك قلة السالكين، وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين».

ومصداق هذا: ما أخرجه الشيخان من حديث ابن عباس عن النبي -عليه الصلاة والسلام- قال: «**عُرضت عليَّ الأمم، فرأيت النبي ومعه الرهط، والنبي

ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد».

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقد أورد هذا الحديث تحت باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب، وهو يستنبط مسائل الباب عامة ومن هذا الحديث خاصة قال: إنه عمق هذا العلم؛ فإنه لا يجوز الاغترار بالكثرة، ولا الزهد في القلة.

ثالثًا: ادعو إلىٰ الله سبحانه بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة الحسنة ما أمكنكم ذلك، فإذا عجزتم عن ذلك فاعتصموا بسنة الرسول ﷺ وارفقوا بأنفسكم، ولا تكلفوا أنفسكم ما لا تطيقون، وتسلُّوا حينئذٍ بقوله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [المائدة:١٠٥].

وأما ما يحصل في العراق من تفرق وشيع، فالذي أدين الله به أنه لا يجوز أن ينخرط السلفي في سلك أي من هذه الفرق، إن استطاع أن يدع ويبين فذاك، وإلا كما أسلفت.

وأزيد هنا من الأدلة ما يأتي:

قال تعالىٰ: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ ﴾ [البقرة:٢٨٦].

﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ ﴾ [التغابن:١٦].

وقال النبي ﷺ: «**إذا أمرتكم بالأمر فأتوا منه ما استطعتم**».

وفي حديث حذيفة قال: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «**فاعتزل تلك الفرق كلها حتىٰ يدركك الموت وأنت علىٰ ذلك، ولو أن تعض علىٰ شجرة**».

فهذه الأحزاب والشيع التي تسود الأمة أحيانًا وتفرقها إلىٰ فرق، فنهاية أمرها السياسة، فكل حزب يدعُ إلىٰ الإسلام فيما يزعم وهو لا يدع إلىٰ الإسلام

وفق الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح، وإنما يدعو إلىٰ الإسلام وفق منظوره هو، وفق ما قعده له مؤسسه.

فجماعة الإخوان المسلمين تدعوا إلىٰ الإسلام علىٰ قواعد وأصول مؤسسها حسن البنا المصري، ويجمعها قاعدة: (نتعاون فيما اجتمعنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا عليه)، وهذه القاعدة قاعدة فاجرة ضالة زائفة؛ وذلكم أنها فتحت الباب علىٰ مصراعيه لتلج كل فرقه ضالة، وتكون جنبًا إلىٰ جنبٍ مع أهل السنة، سواء كانت تلك الفرق منتسبة إلىٰ الإسلام كالرافضة، أو غير منتسبة للإسلام كاليهودية والنصرانية، وقد فصلت هذه القاعدة في مجالس مختلفة.

وخلاصة القول: أيها السلفيون في العراق إيَّاكم إيَّاكم أن تنخرطوا في سلك أي جماعة من هذه الجماعات الحزبية البدعية؛ فإنها جماعات سياسية ثورية مهما اختلفت مسمياتها، فإنها لا تنطلق من معيار الشرع وميزان السنة.

فالخوارج في هذا العصر -وهم في الغالب علىٰ فكر سيد قطب- وغيرهم كلها تندرج تحت غطاء مظلة الإخوان المسلمين، كما صرح بذلك أمين سر جماعة الإخوان المسلمين علي عشماوي؛ قال: إنه لا توجد جماعة في هذا العصر إلا وهي تحت عباءة الإخوان المسلمين.

وأهل السنة في كل زمان ومكان يطلقون الحكم علىٰ النوازل من الكتاب والسنة، وذلك بالنظر إلىٰ القواعد العامة، وإدراج هذه النوازل التي تحدث في كل زمان ومكان تحت القواعد العامة فتطبق عليها القواعد العامة، وهذا لا يعرفه كل أحد، لا يعرفه إلا العلماء الذين يعرفهم العامة والخاصة بخالص النصح للأمة، والاستقامة علىٰ المنهج الحق، وسعة النظر في النوازل، واستنباط الأحكام عليها من أدلة الشرع.

وما أحسن ما قاله ابن مسعود ﷺ: «لا يزال الناس صالحين متماسكين ما أتاهم العلم من أصحاب محمد ﷺ وأكابرهم، فإذا أتاهم العلم من أصاغرهم هلكوا».

وقال ابن سيرين: «إن هذا العلم دين؛ فانظروا عمن تأخذون دينكم».

وما من عالم سنة إلا وهو يؤلمه ما يصيب المسلمين في كل مكان وإن بعدت الشقة، ولكن هؤلاء العلماء الأفذاذ الأخيار يحتاج إلىٰ من ينقل لهم الأخبار في الأقطار نقلًا صحيحًا منصفًا، فإذا وجد النقل الصحيح لن يعدم هؤلاء العلماء الناصحون الأخيار الحكم الذي يناسب تلك النازلة؛ لأن حكم العلماء الراسخين في العلم المخلصين للأمة لا يعدو الصواب؛ لأن مرجعه الشرع.

وأما أن يتفرد كل فئة من الناس للنظر في الأحكام دون فقه ودون روية، فإن هذا هو سبب الفوضىٰ وسبب الحيرة، وسبب التشرذم والتشرد وإضعاف العزائم، وهذا ما يريده الأعداء والأعداء من خارج الإسلام، يجدون المبتدعة سُلَّمًا يعبرون من خلاله إلىٰ أهل الإسلام.

والأمة في حصن حصين وحرز متين مادامت تلتف حول علمائها، وتأخذ منهم، وتلازمهم، وتسير علىٰ أحكامهم، أما إذا ساد الأصاغر وقليلو الفقه فقل علىٰ الأمة السلام.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

روجع في٢٧ ذي القعدة ١٤٢٧ هجرية [1].

---

(١) هذه النصيحة وجهها الشيخ لبعض طلبة العلم في بيته -حفظه الله- في المدينة النبوية، وهي مسجلة في تسجيلات ابن رجب في المدينة النبوية، شارع الملك عبد العزيز القديم.

وصية فضيلة الشيخ صالح بن سعد السحيمي -حفظه الله- إلى أهل السنة في العراق:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيد المرسلين.

أما بعد:

أولًا: نسأل الله العظيم أن يثبتنا وإياكم علىٰ المنهج الحق، وأن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة.

ثانيًا: هذه الفتن المتلاحقة التي عصفت بالمسلمين نستطيع أن نلخصها بست مخاطر:

الخطر الأول: الكفار علىٰ اختلاف مللهم، وهؤلاء لا يجهل أحد خطرهم علىٰ المسلمين، غير أنني أقولها بصراحة: هم أقل خطرًا ممن سأذكرهم، لا أقصد بقولي أقل كفرًا أو أشد كفرًا، ولكن أقصد خطورتهم علىٰ المسلمين أقل؛ لأن الكفرة يعرفهم المسلمون ويحذرونهم، ولا يمكن لمسلم إلا من كتب عليه الشقاوة أن يأتيه كافر فيقول له: ارجع عن دينك. فيرجع؛ فالمسلم الذي ثبته الله لا يرجع عن دينه، لكن الفرق التي سأذكرها أخطر من جهة أنهم ينتسبون إلىٰ الإسلام.

الخطر الثاني: الرافضة، وهم أعداء الإسلام منذ فجر التاريخ، هم الذين ألبو علىٰ عثمان، ثم ألبو علىٰ علي رضي الله عنهما، وما قامت دولة أو فئة ضد الإسلام إلا كانوا في طليعة تلك الدولة أو الفئة، وما جرىٰ للخليفة المتوكل من هادم الدين نصير الدين الطوسي معروف لديكم، هم أعداء الإسلام والمسلمين، وما يجري الآن في العراق، وما يجري في لبنان خير شاهد.

يتسمون باسم الإسلام، ويندسون ويتفقون سرًّا مع الكفار بقصد هدم الإسلام، ومثالبهم وكفرياتهم كثيرة لا تخفىٰ علىٰ أحد، ومنها: اعتقادهم نقص القرآن، وكفرهم بالسنة، وقولهم علىٰ الله البداء، وهي عقيدة يهودية خلاصتها أن الله لا يعلم الأشياء قبل كونها، أو يبدو له ما لم يكن يعلمه، واعتقادهم أن أئمتهم أعظم من الأنبياء، وتكفيرهم الصحابة، وأشياء كثيرة لا تعد ولا تحصىٰ.

الفئة الثالثة: الخوارج، وهؤلاء أخطر؛ لأنه في الجملة يُسمون من أهل السنة، وهنا تكمُن الخطورة، ويمثلهم الإخوانيون والسروريون والجهاديون الآخرون، سواء تسمو بجماعة التكفير أو غيرها، أي حزب من هذه الأحزاب تشترك في الحكم بتكفير أهل السنة السلفيين الذين هم علىٰ الإسلام الحق، وهؤلاء يخدع بهم الناس؛ لأنه يظهر عليهم العبادة والزهد، كما أخبر النبي ﷺ: «**يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم**»، رواه البخاري.

وقال -عليه الصلاة والسلام-: «**يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم؛ فإن في قتلهم أجرًا لمن قتلهم يوم القيامة**». صحيح البخاري.

وقال -عليه الصلاة السلام-: «**يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، لئن أنا أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد**». رواه البخاري.

وقال -عليه الصلاة السلام-: «**شر قتلىٰ قتلوا تحت أديم السماء، وخير قتيل من قتلوا، كلاب أهل النار**» رواه ابن ماجه، كما ذكرهم الرسول ﷺ في الأحاديث الصحيحة، وهم زهاد عباد.

الرابعة: المتصوفة علىٰ اختلاف مللهم، وهم يختلفون بعدًا عن الدين وقربًا بسبب ما عندهم من البدع؛ فمنهم من يبلغ درجة الكفر، كالذي يعتقد سقوط التكاليف الشرعية كالصلاة والصوم، أو يدعو الموتىٰ، ومنهم من هو أقل من ذلك من عنده بدع ولا يصلون إلىٰ درجة الكفر؛ فليسو علىٰ وتيرة واحدة كالرافضة والخوارج المعروفين بضلالهم.

وهؤلاء ضلال، لكن منهم من ليس عنده إلا البدع وهي خطيرة؛ لأنها أحب إلىٰ الشيطان من المعاصي؛ لأن المعاصي يتاب منها والبدع لا يتاب منها، كما قال سفيان بن عيينة.

الخامسة: العلمانيون المارقون الذين استغلوا ظهور الخوارج فتنكروا للدين، وأصبحوا يزهدون الناس فيه، بل ويتهكمون به ويستهزءون به، وهم في غاية الخطورة أو هم ملاحدة؛ لأنه إذا وصل بهم الأمر إلىٰ حد الاستهزاء بالدين والمطالبة أو بإلصاق كل شيء يحصل بالدين، حتىٰ إنهم يحسبون ما يفعله الخوارج علىٰ منهج السلف.

السادسة: المرتزقة الذين يصطادون في الماء العكر، سواء كانوا مستأجرين من الكفرة أو من الفرق الضالة، كل هؤلاء تكالبهم ليس علىٰ العراق فحسب، بل هذا التكالب من هذه الفئات الست علىٰ المسلمين عامة، والهدف هو محاصرة معقل الإسلام والمسلمين في هذه البلاد المملكة العربية السعودية.

وبناءً عليه نقول: يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم، ويأبىٰ الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره المبتدعة.

نصيحتي لإخواني إزاء هذه الفتن لاسيما وقد لمسنا نتائجها الخطيرة علىٰ من انتمىٰ إليها وخدع بها من خدع من أهل السنة إنهم يباعون علىٰ الأمريكان

والبعثيين بآلاف الدولارات: من قبل أدعياء الجهاد المزعومة؛ إذن المسالة خطيرة.

فما هو موقف أهل السنة وبالذات طلبة العلم السلفيين أو الذين وفقهم الله لسلوك منهج السلف الصالح؟

موقفهم في خضم الأحداث الجارية: هو العلم والتعليم لمن يستفيد منه، وتحصين الشباب من الأفكار الوافدة؛ فعليهم أن يتجنبوا هذه الفرق كلها؛ لأنها كلها فرق ضالة.

كما قال -عليه الصلاة والسلام- في حديث حذيفة بن اليمان يقول: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟

قال: «**نعم**».

قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟

قال: «**نعم، وفيه دخن**».

قلت: وما دخنه؟

قال: «**قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر**».

قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟

قال: «**نعم، دعاة إلىٰ أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها**».

قلت: يا رسول الله، صفهم لنا.

فقال: «**هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا**».

قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟

قال: «**تلزم جماعة المسلمين وإمامهم**».

قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟

قال: «**فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتىٰ يدركك الموت وأنت علىٰ ذلك**». صحيح البخاري.

والله يؤلمنا ما يحصل في العراق يؤلمنا ألمًا شديدًا، وإن قلوبنا تحترق وتتقطع، لكن ليس الحل أن نزج بشباب أهل السنة في هذه المحرقة، وأنا أسميها محرقة كما سماها بعض أهل العلم، الحل أن نحافظ علىٰ البقية الباقية، كون الناس يعترضون، كون الناس يستهزئون، كوننا نؤذىٰ في سبيل ذلك ... المشتكىٰ إلىٰ الله.

وهذا لا يعني أن المسلم لا يدافع عن نفسه وعرضه وماله، إذا جاءكم العدو إلىٰ بيوتكم فقاتلوا دون أنفسكم وأعراضكم وأموالكم، ومن قُتل منكم علىٰ هذه النية فهو شهيد بإذن الله تعالىٰ.

وأما أن تزجوا بالشباب السلفي في هذه الأوحال وهذه المحرقة وتحت تلك الرايات المختلطة وتلك الرايات العمية، فأني لا أرىٰ هذا، بل أنه خطير جدًّا، وأرىٰ من يفتهم بهذا فهو آثم، من يفتي للشباب السلفي بالانخراط بما يسمىٰ بالجهاد تحت راية التكفيريين أو أي راية عمية أيًّا كانت.

ماذا نفعل القضية قضية احتلال؟

الجئوا إلىٰ الله، واحموا بيوتكم، واحموا أعراضكم وأموالكم، واجتهدوا بتأصيل العلم الشرعي النافع، وعلموا أولادكم وأبناءكم؛ فإن ذلك هو الحصن الحصين الذي هو -بإذن الله- تتحصنوا به.

والنبي ﷺ لما كان المسلمون ضعفاء في بداية الأمر أذوه وحاصروه الكفار ووضعوا عليه سلىٰ الجزور وقتل منهم بعض الشهداء كياسر أبي عمار، وأمه سمية رضي الله عنهما وغيرهم، ويقتلون أمام الصحابة ما غامر بأنفسهم وهم عدد قليل، بل بشرهم

بالجنة: «**صبرًا يا آل ياسر؛ فإن موعدكم الجنة**»، المستدرك على الصحيحين.

إخواننا أهل السنة في العراق اصبروا، نقول: إذا سلكتم هذا المسلك نقول: نسأل الله أن يكون موعدكم الجنة.

أرى أن تجتهدوا في العلم، والتعليم، والمحافظة على البقية الباقية بدلًا من إلقائهم في محرقة الأمريكان والرافضة، فإن اعتدي عليكم دافعوا عن أنفسكم، فمن قُتل دون ماله أو عرضه أو نفسه فهو شهيد -بإذن الله تعالى-، هذه نصيحتي للسلفيين بالعراق.

وصلِّ اللهم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وأملاه الدكتور

صالح بن سعد السحيمي الحربي

المدرس في المسجد النبوي الشريف

في الثامن والعشرين من ذي القعدة ١٤٢٧هـ[١]

(١) وهذه النصيحة وجهها الشيخ إلى بعض طلبة العلم العراقيين، وهي مسجلة في تسجيلات ابن رجب الحنبلي.

وصية الشيخ محمد بن هادي المدخلي -حفظه الله- إلى أهل السنة في العراق:

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسولهﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد رسول الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد:

فإنه مما يسعد الإنسان ويشرح صدره، ويدخل السرور عليه: أن يسمع بأخبار أهل السنة، ويطمئن على أخبارهم في كل مكان، فإن هذا مما يُفرح الإنسان المسلم الصادق في محبته لرسول اللهﷺ واتباعه لما جاء بهﷺ؛ فإن أهل السنة في كل مكان وزمان غرباء، وهم قلة، وما مثلهم في أهل الإسلام إلا كمثل أهل الإسلام بين سائر الملل.

فأقول: ما مثل أهل السنة بين المخالفين ممن ينتسبون للإسلام إلا كمثل أهل الإسلام بين سائر الملل؛ فهم قلة، ولكن هذه القلة فيها الخير الكثير والبركة، فإن هذه الطائفة هي الطائفة المنصورة، والفرقة الناجية إلىٰ قيام الساعة، كما أخبر بذلك النبيﷺ.

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا وإياكم جميعًا من أنصار دينه، وأن يثبتنا وإياكم.

أيها الإخوة، إننا لندعو الله ﷻ بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العلا أن يكثر سواد أهل السنة، وأن يبارك في أعمالهم وأعمارهم.

معشر الإخوة، لا يخفىٰ علىٰ المتابع لأحوال إخواننا المسلمين في بلد العراق عمومًا وأهل السنة خاصة، لا يخفىٰ علىٰ من يتتبع أحوالهم وأخبارهم متابعة عامة ومتابعة خاصة، وأعني بالمتابعة العامة الأخبار العامة، وأما المتابعة الخاصة فتكون بواسطة من يعرف من الثقات، أو من يقدم عليه من إخوانه الثقات من هذا البلد.

أقول: لا يخفىٰ علىٰ من يتابع الأخبار، ويتابع سير الأحداث لا يخفىٰ عليه حال أهل السنة والجماعة، وأعني بأهل السنة والجماعة: أهل السنة المحضة لا الأدعياء، فكثير ممن ينتسب إلىٰ هذا الطريق وهو في الحقيقة ليس علىٰ طريق أهل السنة والجماعة، وأنا أعني أهل السنة المحضة الذين هم علىٰ اعتقاد السلف الصالح رضي الله عنهم.

علىٰ طريق الرسولﷺ وأصحابه الكرام الأطهار الأبرار الذين قال الله -تبارك وتعالىٰ- فيهم: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

فأعني بأهل السنة: من كان علىٰ طريق النبيﷺ وأصحابه رضي الله عنهم الذي قال

الرسولﷺ فيهم: «**افترقت اليهود علىٰ إحدىٰ وسبعين فرقة**، -وفي لفظ: **ملة واحدة في الجنة وسبعين في النار**-، **وافترقت النصارىٰ علىٰ اثنتين وسبعين فرقة**، -وفي لفظ: **ملة فواحدة في الجنة وإحدىٰ وسبعين في النار**-، **والذي نفسي بيده لتفترقن أمتي علىٰ ثلاث وسبعين فرقة فواحدة في الجنة واثنتين وسبعين في النار**»، قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: «**ما أنا عليه وأصحابي**»، رواه الترمذي، وحسنه الشيخ الألباني.

فالذين علىٰ مثل ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه الكرام الذين رضي الله عنهم من غير قيد ولا شرط، هؤلاء هم الذين نعنيهم، أعني: هم أهل السنة والأثر السائرين علىٰ طريق النبيﷺ وطريق أصحابه.

أقول: إن المتتبع لأخبار هؤلاء الطائفة، طائفة أهل السنة والجماعة إنه ليفرح ويحزن في آن واحد، يفرح لأجل ما أظهر الله ﷻ في مثل هذه الأوقات، والله ﷻ له الحكمة البالغة والحجة الدامغة، ولو شاء لهدىٰ الناس أجمعين، فظهر في هذا الوقت أهل السنة الحقيقيون في مثل هذا الوقت وقت الفتن، وهذا لاشك هو وقت ظهورهم ووقت تميزهم، حينما تدلهم الخطوب وتطبق الكروب علىٰ الناس فيقوم أهل السنة الناصحون الصادقون؛ لأنهم وراث النبي ﷺ؛ فيدعون الناس إلىٰ دين الله الحق، ويدعون إلىٰ ما جاء به سيد الخلقﷺ، فيبينون هنا ويتميزون مع ظهور الفرق المخالفة لهم علىٰ كثرتها.

فالإنسان في هذه الحالة يفرح لظهور أهل السنة، وإن كان في هذا الوقت يتألم من ناحية أخرىٰ لما يصيبهم من أذية وابتلاء، وما ينال أهل السنة ربما من قتل وتشريد والتطهير العرقي بلغة الحروب العصرية، إلىٰ غير ذلك من البلايا والمحن التي تنزل بأهل الإسلام عامة، وبأهل السنة وخصوصًا في هذه الأزمان، فيتألم الإنسان لهذا، ويفرح عندما يرىٰ تميز أهل السنة في هذا الوقت، ولكن مع

فرحه ومع حزنه لا ينقطع أمله بالله -تبارك وتعالىٰ- لا ينقطع أمله بالله ﷻ وفي نصرته لأوليائه.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحج:٤٠-٤١].

هؤلاء هم الذين ينصرهم الله سبحانه وتعالى، هم الذين قال الله تعالىٰ لهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد:٧].

هؤلاء هم أهل الإيمان الصادقون، هؤلاء هم الذين ينتظرون نصر الله -تبارك وتعالىٰ-، وإذا جاء نصر الله -تبارك وتعالىٰ- فلا راد له، وإن خذل الله سبحانه وتعالى العبد فمن ذا الذي ينصره من بعده.

قال تعالىٰ: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران:١٦٠].

فنسأل الله سبحانه وتعالى أن ينصر دينه وينصر أولياءه.

أقول: هؤلاء أهل السنة هم الذين نصروا الله سبحانه وتعالى، وذلك بالدعوة إليه، بإرشاد الناس إلىٰ الدين الحق؛ فإن مثل هذه الفتن قد مرت بأمة الإسلام وعصفت بها مثل هذه الفتن، وهذه الفتن ليست بغريبة علىٰ بلاد الإسلام؛ فقد مرَّ ببلاد العراق فتن عظيمة، فمرت بها فتنة التتار وصار فيها ما صار، وكان منها ما كان من قتل العباد، واجتياح البلاد، واستباحة المحرمات -نسأل الله العافية والسلامة- وكذلك كان ما كان في بلاد الإسلام.

ولكن هل يُنصر الناس بالعاطفة هكذا من غير أن يعودوا إلىٰ الله تعالىٰ؛ فقد كان في زمن شيخ الإسلام -رحمه الله تعالىٰ- حينما وصل المد التتري إلىٰ بلاد

الشام، كان يوجد في بلاد الشام عوام من المسلمين يقولون: يا خائفين من التتر لوذوا بقبر أبي عمر.

شرك بالله ﷻ أكبر، ماذا يغني عنهم أبو عمر؟! لا شيء.

فجاهد شيخ الإسلام -رحمه الله تعالىٰ- ومَن معه من عصابة أهل السنة، أهل الحق، الطائفة المنصورة، الفرقة الناجية؛ جاهدوا هؤلاء الناس حتىٰ أقاموهم علىٰ دين الله -تبارك وتعالىٰ-، ثم هيئوا بعد ذلك هذه النفوس لمقاتلة جيوش العدو فهزموهم بإذن الله تعالىٰ.

والتاريخ مسجل أمين، وهذه الكتب مدون فيها مثل هذا، ولا يخفىٰ علىٰ كثير من إخواننا المتتبعين لسير مثل هذه الحوادث وسير مثل هذه الأمور.

كان شيخ الإسلام -رحمه الله تعالىٰ- وتلاميذه أئمة في هذا الباب، وكان جهادهم جامعًا لجهادي السيف، والسنان، والقلم، واللسان، والبيان، والجهاد بالقلم واللسان جهاد البيان أعظم من جهاد السيف والسنان؛ لأن جهاد السيف يحسنه كل مفتول بجسمه وبدنه، أما جهاد القلم والبيان فلا يقوم به إلا خلفاء الرسولﷺ، وهم الذين أجهدوا أنفسهم وأتعبوها في تعلم السنة، والوقوف عليها، وطلب تفسيرها، وفقهها الصحيح، وفهم معانيها وما دلت عليه، ودعوة الناس إلىٰ هذه السنة وما دلت عليه؛ فهؤلاء هم الذين ينفع الله ﷻ بهم.

فالشاهد: أن دعاة السنة في كل زمان ومكان هم الذين يقومون بالدين الصحيح خير قيام؛ لأنهم خلفاء الرسولﷺ، والواجب علينا جميعًا أن نبدأ أولًا بدعوة الناس إلىٰ أن يصححوا عقائدهم، ثم يصححوا عباداتهم؛ فإذا استقاموا هم علىٰ أمر الله -تبارك وتعالىٰ- ونصروا الله في أنفسهم نصرهم الله ﷻ: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

فختم الآية باسمين عظيمين جليلين، فمن يغلب العزيز؟ لا أحد؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾؛ فمن كان معه القوي لا يُغلب، ومن كان معه العزيز لا يمكن أن يُظهر عليه، فإذا استقمنا جميعًا على دين الله -تبارك وتعالى-، وقمنا بما يجب علينا بتعليم أمتنا وتبصيرها بما خلقها الله تعالى لأجله وبما أعد لها من الجزاء العظيم عليه، حتى صحت العقائد وصحت العبادات؛ فحينئذٍ حصل الخير العظيم، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة:٥].

هذا هو الدين المستقيم الذي يكون فيه الإخلاص لله تعالى والمتابعة لرسولهﷺ؛ فإن كثرة العمل ليست بالعبرة، وإنما العبرة بصواب العمل.

قال الله ﷻ: ﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۗ﴾ [هود:٧].

أتدري ما (أحسن عملًا)، قال الفضيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: (أحسن عملًا): أخلصه وأصوبه، إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يُقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل، وهذا هو معنى قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة:٥].

حنفاء على طريقة الرسولﷺ، والرسولﷺ على طريقة إبراهيمﷺ.

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران:٦٨]. وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فيه: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [النحل:١٢٠]. وقال تعالى فيه: ﴿وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٣٠ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة:١٣٠-١٣١].

فالشاهد: الواجب علينا جميعًا أن نجاهد أنفسنا بالاستقامة على دين الله

تعالىٰ، ثم ننقل هذا الأمر إلىٰ عباد الله، نهديهم وننصحهم إلىٰ دين الله -تبارك وتعالىٰ-، وخصوصًا في زمن الفتن؛ لأنهم عرضة للفتن، عرضة للقتل، عرضة للهلاك؛ فلئن يستقيم قلة من عباد الله علىٰ دين الله علىٰ يديك إلىٰ دين الله الحق، ويدخلوا بسببك الجنة، خير لك من حمر النعم.

فأوقات الفتن، وأوقات المحن، وأوقات البلايا، وأوقات الهرج، أوقات القتل الذي لا يدري القاتل لم قَتل ولا المقتول فيم قتل، إذا أحسنت إلىٰ الناس وأقمتهم علىٰ دين الله -تبارك وتعالىٰ- فأنت المجاهد لله حقًّا، أنت في الله حقًّا.

وكما قلت: جهاد السنان يحسنه كل مجدول البدن مفتول الجسم، أما جهاد البيان ودعوة الناس إلىٰ دين الله الخالص الصحيح، وإلىٰ اتباع ما جاء به النبي ﷺ هذا لا يحسنه إلا ورَّاث الرسل -صلىٰ الله عليهم وسلم أجمعين-، وهم ورثة نبينا ﷺ؛ فإنه ﷺ لم يورث دينارًا ولا درهمًا، وإنما ورث العلم؛ فمن أخذه فقد أخذ بحظ وافر، وفيه قال ﷺ: «**من يرد الله به خيرًا يفقه في الدين**».

فالله الله معشر الإخوان في العراق في التفقه في دين الله، وتعليم الناس ما يجب عليهم من أمور دينهم وعباداتهم وأمور دنياهم، معرفة الحلال والحرام، معرفة ما يجب لهم و ما يجب عليهم فيما بينهم بعد معرفة حق الله تعالىٰ عليهم، حق الله علىٰ العبيد: إخلاص التوحيد لله -تبارك وتعالىٰ-: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة:٥]، ثم بعد ذلك الأعمال، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

فالله سبحانه وتعالىٰ إنما خلق الخلق لعبادته وحده لا شريك له، فإذا استقاموا علىٰ دين الله تعالىٰ فإن الله سبحانه وتعالىٰ سينزل عليهم الخير، وينزل عليهم البركة، فيحفظهم -تبارك وتعالىٰ-، ومن مات منهم علىٰ خير ويرجىٰ له الخير، وأما من مات علىٰ الجهل

وعلىٰ الشرك فهذا يخاف عليه، وهذه بلية عظيمة ومصيبة عظيمة.

ولا يجوز للدعاة إلىٰ الله -تبارك وتعالىٰ- التقاعد إذا ما وجد بين ظهرانيهم أو قريبًا منهم من يرون الشرك باديًا عليه أو في عبادته الشرك، أو في بلدته أسباب الشرك وذرائع الشرك، لا يجوز لهم أن يتكاسلوا، وعليهم أن يتقوا الله -تبارك وتعالىٰ- ما استطاعوا.

والبدع بريد إلىٰ الشرك -نسأل الله السلامة والعافية-؛ فإنه ما تعبد مُتعبد بشيء من الأعمال فيه بدعة إلا وكان نصيبه منه التعب والإجهاد، نسأل الله السلامة والعافية، قال الله -تبارك وتعالىٰ-: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ (٣) تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً (٤) تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ (٥) لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ (٦) لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾ [الغاشية: ٢-٧].

ويقول الرسول ﷺ كما في صحيح مسلم: «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد**»، أي: كل عمل ليس علىٰ ديننا فهو رد؛ فلا يقبل العمل حتىٰ يكون خالصًا لله -تبارك وتعالىٰ- وصوابًا علىٰ سنة النبي ﷺ، ولا دليل إلىٰ ذلك إلا بالعلم.

فالله الله معشر الإخوة في الاجتهاد بالدعوة إلىٰ الله -تبارك وتعالىٰ-، وتعليم الناس ما ينفعهم، وليكن البدء بتصحيح العقيدة وتصحيح العبادة، وتوحيد العبادة الذي إذا لقي العبد ربه -تبارك وتعالىٰ- به ولو معه ما معه من المعاصي والذنوب فإنه يرجىٰ له أن يغفر، بخلاف الشرك فإنه لو لقي العبد ربه به ولو معه كالجبال والقصور من الأعمال الصالحة فإنه لا ينتفع من ذلك من شيء.

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ (٦٤) وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥) بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾.

ثم نعىٰ علىٰ أقوام تنقصوه -تبارك وتعالىٰ- ولم يقدروه حق قدره فقال: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر:٦٤-٦٧].

فنزه نفسه عمَّا قد تنقصه المتنقصون من هؤلاء المشركين وأمثالهم.

فالشاهد: إن الشرك إذا لقي العبد ربه به لا ينفعه ما جاء من الأعمال، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٨].

وفي آية أخرىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء:١١٦].

فندعو الله ﷻ بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العلا أن يجعلنا وإياكم من أنصار دينه والدعاة إليه، كما نسأله ﷻ أن يشرح صدورنا بالعلم النافع علم القرآن والسنة، والسير علىٰ ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ﭬ، كما أسأله ﷻ أن يرزقنا الفقه في الدين والبصيرة فيه، وأن يرزقنا الإخلاص لله ﷻ في القول والعمل؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين[١].

* * *

---

(١) لما استأذنت الشيخ -حفظه الله- أن أنشر هذه الوصية في كتابي «رؤية شرعية» تحت عنوان: وصايا العلماء؛ قال الشيخ: إنما أنا طالب علم. وهذا من تواضعه -حفظه الله-؛ وإلا فإني سألت الشيخ أحمد النجمي محدث الجنوب عن العلماء الذين يرجع إليهم في النوازل، فذكر مجموعة من العلماء وذكر منهم الشيخ محمد المدخلي -سدده الله-، وهذه الوصية وجهها الشيخ إلىٰ طلبة العلم في بغداد عبر الهاتف في منتصف رمضان ١٤٢٨ هـ، وهي مسجلة في تسجيلات ابن رجب في المدينة النبوية.

الفصل الأول

١- الفتنة لغة:

جمعها فتن، قال الأزهري: وأصلها مأخوذ من قولك: فتنت الفضة والذهب أذبتها بالنار؛ ليتميز الرديء من الجيد، ومن هذا قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ [الذاريات:١٣]، أي: يحرقون[١].

٢- الفتنة في الاصطلاح:

قال ابن حجر في الفتح[٢]: وَالْمُرَاد بِالْفِتْنَةِ مَا يَنْشَأ عَنْ الِاخْتِلَاف فِي طَلَب الْمُلْك حَيْثُ لَا يُعْلَم الْمُحِقّ مِنْ الْمُبْطِل.

وقال أيضًا: قَالَ الرَّاغِب: أَصْل الْفِتَن إِدْخَال الذَّهَب فِي النَّار لِتَظْهَر جَوْدَته مِنْ رَدَاءَته، وَيُسْتَعْمَل فِي إِدْخَال الْإِنْسَان النَّار وَيُطْلَق عَلَى الْعَذَاب.

٣- الملاحم:

هي الوقيعة العظيمة في الفتنة، وقيل: هي الحرب ذات القتال الشديد، وقيل: موضع القتال. ذكر هذه الأقوال الثلاثة الزبيدي في تاج العروس[٣].

(١) تهذيب اللغة.

(٢) فتح الباري لابن حجر، فتح الباري (ج١٣/ ص٣)، كتاب الفتن.

(٣) انظر: في تاج العروس (ج ١/ ص٧٨٩٠).

قولهم: (نبي الملحمة) فيه قولان؛ أي: نبي القتال، وهو كقوله في الحديث الآخر: «**بعثت بالسيف**».

قال الجوهري: الملحمة هي الوقيعة الشديدة في الفتنة. الصحاح (٥/ ٢٠٢٧).

وقال السدي: أصل اشتقاق كلمة الملحمة هي الوقيعة العظيمة في الفتنة[١].

من معاني الفتنة في القرآن[٢]:

١- **الكفر**، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ﴾ [البقرة:١٩١].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن المفسدة بالفتنة عنده بالشرك، والصد عن دينه، أشد من مفسدة القتل»[٣].

٢- **الإزالة والصرف عن الشيء**، ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ لِتَفۡتَرِيَ عَلَيۡنَا غَيۡرَهُۥۖ وَإِذٗا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلٗا﴾ [الإسراء:٧٣] أي: ليصرفونك[٤].

٣- **القتل**، قال تعالىٰ: ﴿إِنۡ خِفۡتُمۡ أَن يَفۡتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْۚ﴾ [النساء:١٠١] أي: يغتالكم ويقتلكم[٥].

٤- **الإضلال**، قال تعالىٰ: ﴿مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ بِفَٰتِنِينَ﴾ [الصافات:١٦٢] أي: بمضلين أحدًا[٦].

٥- **الجنون**، قال تعالىٰ: ﴿فَسَتُبۡصِرُ وَيُبۡصِرُونَ ۝٥ بِأَييِّكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ﴾ [القلم:٥-٦]

(١) انظر: كتاب السنن الواردة في الفتن لأبي عمرو الداني، تحقيق: د/ رضا الله المباركفوري.

(٢) انظر: كتاب السنن الواردة في الفتن لأبي عمرو الداني، تحقيق: د/ رضا الله المباركفوري.

(٣) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (ج ١/ ص٨٩).

(٤) معالم التنزيل للبغوي (ج ٥/ ص١١١).

(٥) معالم التنزيل للبغوي (ج ٢/ ص٢٧٤).

(٦) معالم التنزيل للبغوي (ج ٧/ ص٦٣).

أيكم المفتون؟ أي: المجنون الذي فتن بالجنون، وهذا قول قتادة.

٦- **العذاب**، قال تعالىٰ: ﴿ذُوقُواْ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [الذاريات:١٤] أي: عذابكم(١).

٧- **ما يُدفع إليه الناس من شدة ورخاء**، ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء:٣٥] أي: اختبار وامتحان منه لكم؛ إذ أعطاكموها ليعلم أتشكرونه عليها وتطيعونه(٢) فيها، أو تشتغلون بها عنه، وتعتاضون بها منه؟(٣).

٨- **ما يكون بمعنىٰ الفوضىٰ والوقيعة والتخذيل والتفرقة**، ﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التوبة:٤٧] أي: يطلبون لكم ما تفتنون به، يقولون: لقد جُمع لكم كذا وكذا، وإنكم مهزومون وسيظهر عليكم عدوكم ونحو ذلك.

وقال **الكلبي**: يبغونكم الفتنة يعني: الْعَيْبَ والشرَّ(٤).

٩- **الإحراق بالنار**، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ [البروج:١٠] أي: عذبوا وأُحرقوا(٥).

١٠- **الضلالة**، ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة:٤١].

---

(١) معالم التنزيل للبغوي (ج٨/ ص١٩١).

(٢) معالم التنزيل للبغوي (ج ٥/ ص١١١).

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (ج٤/ ص٤٢).

(٤) معالم التنزيل للبغوي (ج٤/ ص٥٦).

(٥) معالم التنزيل للبغوي (ج٨/ ص٣٨٨).

ويؤخذ من هذه الآيات أن العبد ينبغي له كثرة التضرع والابتهال إلىٰ الله تعالىٰ أن يهديه ولا يضله، فإن من هداه الله لا يضل، ومن أضله لا هادي له، ولذا ذكر عن الراسخين في العلم أنهم يقولون: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ [آل عمران:٨][١].

١١- **المعذرة**، ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣].

قال ابن عباس وقتادة: معذرتهم والفتنة التجربة، فلما كان سؤالهم تجربة لإظهار ما في قلوبهم قيل: فتنة.

قال الزجاج في قوله: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ﴾ معنىٰ لطيف، وذلك مثل الرجل يفتتن بمحبوب ثم يصيبه فيه [محنة][٢] فيتبرأ من محبوبه، فيقال: لم تكن فتنت إلا هذا، كذلك الكفار فتنوا بمحبة الأصنام ولما رأوا العذاب تبرأوا منها، يقول الله ﷻ: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ﴾ في محبتهم الأصنام[٣].

١٢- **الإثم**، ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: في الإثم [التوبة:٤٩][٤].

١٣- **العقوبة**، ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣][٥].

قال مجاهد: بلاء في الدنيا، ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وجيع في الآخرة.

---

(١) أضواء البيان للشنقيطي (١/ ٢٩٧).
(٢) معالم التنزيل للبغوي.
(٣) معالم التنزيل للبغوي (ج٦/ ص٦٨).
(٤) معالم التنزيل للبغوي (ج٤/ ص١١٤).
(٥) معالم التنزيل للبغوي.

وقيل: عذاب أليم عاجل في الدنيا.

١٤- **الفتنة بمعنىٰ المرض،** ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [التوبة:١٢٦] يُبتلون ﴿فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾ بالأمراض[1].

أنواع الفتن:

١- **الفتنة الخاصة**: وهي التي تصيب الرجل في نفسه وماله وأهله.

أ- قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التغابن:١٥].

قال ابن كثير في تفسيرها: «يقول تعالىٰ إنما الأموال والأولاد فتنة؛ أي: اختبار وابتلاء من الله تعالىٰ لخلقه؛ ليعلم من يطيعه ممّن يعصيه».

وقال تعالىٰ: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء:٣٥].

قال ابن كثير في تفسيرها: «أي: نختبركم بالمصائب تارة، وبالنعم أخرىٰ؛ فننظر من يشكر ومن يكفر ومن يصبر ومن يقنط».

ب- ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الفرقان:٢٠].

قال ابن كثير:«أي: اختبرنا بعضكم ببعض، وبلونا بعضكم ببعض لنعلم من يطيع ممن يعصي».

ج- **فتنة النساء**، ففي الصحيح قال -عليه الصلاة والسلام-: «**مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرُّ عَلَىٰ الرِّجَالِ مِنَ النِّساء**».

هـ- **فتنة الغنىٰ وفتنة الفقر وفتنة المحيا والممات**، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ

---

(١) معالم التنزيل للبغوي.

رَسُولُ اللهﷺ يَقُولُ: «**اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَفِتْنَةِ النَّارِ، وَفِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ، وَشَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَشَرِّ فِتْنَةِ الْغِنَىٰ، وَشَرِّ فِتْنَةِ الفَقْرِ**»[1].

٢- **الفتنة العامة**: وهي التي تصيب الأمة عامة، كما ورد ذلك في حديث حذيفة الذي أخرجه الإمام مسلم وغيره عن حذيفة قال: كنا عند عمر فقال: أيكم يحفظ حديث رسول اللهﷺ في الفتنة كما قال؟

قال: فقلت: أنا.

قال: إنك لجريء، وكيف قال؟

قال: قلت: سمعت رسول اللهﷺ يقول: «**فتنة الرجل في أهله، وماله، ونفسه، وولده، وجاره يكفرها الصيام، والصلاة، والصدقة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر**».

فقال عمر: ليس هذا أريد، إنما أريد التي تموج كموج البحر.

قال: فقلت: ما لك ولها يا أمير المؤمنين، إن بينك وبينها بابًا مغلقًا.

قال: أفيكسر الباب أم يفتح؟

قال: قلت: لا، بل يكسر.

قال: ذلك أحرىٰ ألا يغلق أبدًا.

قال: فقلنا لحذيفة: هل كان عمر يعلم من الباب؟

قال: نعم، كما يعلم أن دون غد الليلة، إني حدثته حديثًا ليس بالأغاليط.

قال: فهبنا أن نسأل حذيفة من الباب، فقلنا لمسروق: سله، فسأله فقال: عمر[2].

---

(١) صحيح البخاري (رقم ٥٨٩٨).

(٢) صحيح مسلم (ج٤/ ص٢٢١).

ذكر بعض صفات الفتن:

١ - فتن يكثر فيها إراقة الدماء:

عن أبي ذر قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**يا أبا ذر**».

قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك.

قال: «**كيف أنت إذا أصاب الناس موت يكون البيت فيه بالوصيف؟**».

قلت: الله ورسوله أعلم، أو قال: ما خار الله لي ورسوله.

قال: «**عليك بالصبر** -أو قال: **تصبر**-».

ثم قال لي: «**يا أبا ذر**».

قلت: لبيك وسعديك.

قال: «**كيف أنت إذا رأيت أحجار الزيت قد غرقت بالدم**».

قلت: ما خار الله لي ورسوله.

قال: «**عليك بمن أنت منه**».

قلت: يا رسول الله، أفلا آخذ سيفي وأضعه علىٰ عاتقي.

قال: «**شاركت القوم إذن**».

قلت: فما تأمرني؟

قال: «**تلزم بيتك**».

قلت: فإن دخل عليَّ بيتي؟

قال: «**فإن خشيت أن يبهرك شعاع السيف فألق ثوبك علىٰ وجهك يبوء بإثمك وإثمه**»[١].

---

(١) سنن أبي داود (٤٢٦١)، وصححه الألباني.

٢- فتن تُغربل الناس غربلة:

قال -عليه الصلاة والسلام-: **«يوشك أن يأتي زمان يغربل فيه الناس غربلة يبقىٰ حثالة من الناس قد مرجت عهودهم وأماناتهم واختلفوا، فكانوا هكذا»**، وشبك بين أصابعه(١).

٣- فتن كقطع الليل المظلم:

عن أبي موسىٰ الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن بين أيديكم فتنًا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمنًا ويمسي كافرًا، ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي»**. قالوا: فما تأمرنا؟ قال: **«كونوا أحلاس بيوتكم»**(٢).

قال في عون المعبود شرح سنن أبي داود (ج ٩/ ص٣٠٠): أَيْ: اِلْزَمُوا بُيُوتكُمْ.

٤- فتن فيها تقل الأمانة وتمرج العهود:

عن عمرو بن العاص قال: بينما نحن حول رسول الله ﷺ إذ ذكر الفتن أو ذُكرت عنده، قال: **«ورأيتم الناس قد مرجت عهودهم وخفت أماناتهم وكانوا هكذا»** وشبك بين أصابعه.

قال: فقمت إليه، فقلت: ماذا أفعل جعلني الله فداك؟

قال: **«الزم بيتك، واملك عليك لسانك، وخذ بما تعرف، ودع ما تنكر، وعليك بأمر خاصة نفسك، ودع أمر العامة»**(٣).

---

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه، وأبو داود في كتاب الفتن.

(٢) رواه أبو داود، وصححه الألباني.

(٣) أخرجه الإمام مسلم، وأبو داود برقم (٤٢٤٧).

٥- فتن عمياء صماء:

كما في حديث حذيفة الطويل قال: قلت: يا رسول الله أبعد هذا الخير شر؟ قال: «فتنة عمياء صماء، عليها دعاة علىٰ أبواب النار»(١).

٦- فتن كالقطر من السماء:

عن أسامة أن النبي ﷺ أشرف علىٰ أطم من آطام المدينة، ثم قال: «هل ترون ما أرىٰ، إني لأرىٰ مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر»(٢).

٧- فتن كرياح الصيف:

كما في حديث حذيفة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ وهو يعد الفتن: «منهن ثلاث لا يكدن يذرن شيئًا، ومنهن فتن كرياح الصيف، منها صغار ومنها كبار»(٣).

٨- فتن تموج كموج البحر:

كما في حديث عمر المتقدم.

٩- فتن يكثر فيها القتل حتىٰ لا يدري القاتل لِمَ قَتل ولا المقتول لِمَ قُتل:

عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا حتىٰ يأتي علىٰ الناس يوم لا يدري القاتل فِيم قَتل، ولا المقتول فيم قُتل».

فقيل: كيف يكون ذلك؟

قال: «الهرج؛ القاتل والمقتول في النار»(٤).

---

(١) سنن أبي داود رقم (٤٢٤٦)، وحسنه الألباني.

(٢) صحيح مسلم (ج٤/ ص٢٢١١).

(٣) سنن أبي داود (ج٤/ ص١٠٢)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٤) رواه مسلم (ج٤/ ص٢٢٣١).

١٠- فتن تعرض علىٰ القلب كالحصير عودًا عودًا:

قال -عليه الصلاة والسلام-: «**تعرض الفتن علىٰ القلوب كالحصير عودًا عودًا، وأي قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء حتىٰ تصير علىٰ قلبين: علىٰ أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة مادامت السموات والأرض، والآخر أسود مربادًا كالكوز مجخيًا، لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا إلا ما أشرب هواه**»(١).

١١- فتن كأنها الجبال والسحب:

قال -عليه الصلاة والسلام-: «**أيما أهل بيت من العرب والعجم أراد الله بهم خيرًا أدخل عليهم الإسلام، ثم تقع الفتن كأنها الظلل**».

قال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: «الظلل: هي كل ما أظلك، أراد كأنها الجبال والسحب»(٢).

١٢- وصفت بأنها عذاب أمة محمد ﷺ في الدنيا:

«**أمتي أمة مرحومة؛ ليس عليها عذاب في الآخرة، عذابها في الدنيا: الفتن والزلازل والقتل**». صحيح.

وعن أبي بردة قال: بينما أنا واقف في السوق في إمارة زياد، إذ ضربت بإحدىٰ يدي علىٰ الأخرىٰ تعجبًا، فقال رجل من الأنصار قد كانت لوالده صحبة مع رسول الله ﷺ: مما تعجب يا أبا بردة ؟

قلت: أعجب من قوم دينهم واحد، ونبيهم واحد، ودعوتهم واحدة، وحجهم واحد، وغزوهم واحد، يستحل بعضهم قتل بعض!

(١) متفق عليه.

(٢) مختصر السلسلة الصحيحة (ج ١/ ص١١٧).

قال: فلا تعجب؛ فإني سمعت والدي أخبرني أنه سمع رسول الله ﷺ يقول... فذكره[١].

قال الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهو صحيح الإسناد.

واعلم أن المقصود بـ(الأمة) هنا غالبها؛ للقطع بأنه لابد من دخول بعضهم النار للتطهير.

١٣ - فتن يرقق بعضها بعضًا:

قال رسول الله ﷺ: «**إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقًّا عليه أن يدل أمته علىٰ خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم، وإن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها، وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها، وتجيء فتنة فيرقق بعضها بعضًا، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه مهلكتي، ثم تنكشف، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه هذه؛ فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلىٰ الناس الذي يحب أن يؤتىٰ إليه**»[٢].

١٤ - فتنة الأحلاس، ثم فتنة الدهماء:

عن عَبْدِ الله بْنَ عُمَرَ قال: كُنَّا قُعُودًا عِنْدَ رَسُولِ الله، فَذَكَرَ الْفِتَنَ فَأَكْثَرَ فِي ذِكْرِهَا حَتَّىٰ ذَكَرَ فِتْنَةَ الْأَحْلَاسِ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ الله، وَمَا فِتْنَةُ الْأَحْلَاسِ؟

قَالَ: «**هِيَ هَرَبٌ وَحَرْبٌ، ثُمَّ فِتْنَةُ السَّرَّاءِ دَخَنُهَا مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يَزْعُمُ أَنَّهُ مِنِّي وَلَيْسَ مِنِّي، وَإِنَّمَا أَوْلِيَائِي الْمُتَّقُونَ، ثُمَّ يَصْطَلِحُ النَّاسُ عَلَىٰ رَجُلٍ كَوَرِكٍ عَلَىٰ ضِلَعٍ، ثُمَّ فِتْنَةُ الدُّهَيْمَاءِ لا تَدَعُ أَحَدًا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا لَطَمَتْهُ**

---

(١) صححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٩٥٩)، وفي صحيح الجامع (رقم١٣٩٦).

(٢) رواه الإمام مسلم.

لَطْمَةً، فَإِذَا قِيلَ: انْقَضَتْ، تَمَادَتْ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، حَتَّىٰ يَصِيرَ النَّاسُ إِلَىٰ فُسْطَاطَيْنِ: فُسْطَاطِ إِيمَانٍ لا نِفَاقَ فِيهِ، وَفُسْطَاطِ نِفَاقٍ لا إِيمَانَ فِيهِ؛ فَإِذَا كَانَ ذَاكُمْ فَانْتَظِرُوا الدَّجَّالَ مِنْ يَوْمِهِ أَوْ مِنْ غَدِهِ»[1].

(فِتْنَة الأَحْلَاس): قَالَ فِي النِّهَايَة: الْأَحْلَاس: جَمْع حِلْس، وَهُوَ الْكِسَاء الَّذِي يَلِي ظَهْر الْبَعِير تَحْت الْقَتَب، شَبَّهَهَا بِهِ لِلُزُومِهَا وَدَوَامهَا. اِنْتَهَىٰ.

وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ: إِنَّمَا أُضِيفَتْ الْفِتْنَة إِلَىٰ الأحلاس لِدَوَامِهَا وَطُول لُبْثهَا، أَوْ لِسَوَادِ لَوْنهَا وَظُلْمَتهَا.

(هَرَب): بِفَتْحَتَيْنِ، أَيْ: يَفِرّ بَعْضهمْ مِنْ بَعْض؛ لِمَا بَيْنهم مِنْ الْعَدَاوَة وَالْمُحَارَبَة. قَالَهُ الْقَارِي.

(وَحَرَب): فِي النِّهَايَة: الْحَرَب بِالتَّحْرِيكِ: نَهْب مَال الْإِنْسَان وَتَرْكه لَا شَيْء لَهُ. انْتَهَىٰ.

وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ: الْحَرَب ذَهَاب الْمَال وَالْأَهْل.

(ثُمَّ فِتْنَة السَّرَّاء): قَالَ الْقَارِي: وَالْمُرَاد بِالسَّرَّاءِ النَّعْمَاء الَّتِي تَسُرّ النَّاس مِنْ الصِّحَّة وَالرَّخَاء، وَالْعَافِيَة مِنْ الْبَلَاء وَالْوَبَاء، وَأُضِيفَتْ إِلَىٰ السَّرَّاء؛ لِأَنَّ السَّبَب فِي وُقُوعهَا اِرْتِكَاب الْمَعَاصِي بِسَبَبِ كَثْرَة التَّنَعُّم، أَوْ لِأَنَّهَا تَسُرّ الْعَدُوّ. اِنْتَهَىٰ.

(دَخَنهَا): يَعْنِي ظُهُورهَا وَإِثَارَتهَا شَبَّهَهَا بِالدُّخَانِ الْمُرْتَفِع، وَالدَّخَن بِالتَّحْرِيكِ مَصْدَر دَخِنَتْ النَّار تَدْخَن إِذَا أُلْقِيَ عَلَيْهَا حَطَب رَطْب فَكَثُرَ دُخَانهَا، وَقِيلَ: أَصْل الدَّخَن أَنْ يَكُون فِي لَوْن الدَّابَّة كُدُورَة إِلَىٰ سَوَاد. قَالَهُ فِي النِّهَايَة.

وَإِنَّمَا قَالَ: (مِنْ تَحْت قَدَمَيْ رَجُل مِنْ أَهْل بَيْتِي): تَنْبِيهًا عَلَىٰ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي

---

(١) صححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة - مختصرة (ج ٢/ ص ٦٦٦) (رقم ٩٧٤)، انظر عون المعبود شرح سنن أبي داود (ج ٩/ ص ٢٨٦).

يَسْعَىٰ فِي إِثَارَتِهَا، أَوْ إِلَىٰ أَنَّهُ يَمْلِك أَمْرهَا.

(يَزْعُم أَنَّهُ مِنِّي): أَيْ فِي الْفِعْل، وَإِنْ كَانَ مِنِّي فِي النَّسَب، وَالْحَاصِل أَنَّ تِلْكَ الْفِتْنَة بِسَبَبِهِ، وَأَنَّهُ بَاعِث عَلَىٰ إِقَامَتهَا.

(ثُمَّ فِتْنَة الدُّهَيْمَاء): الْفِتْنَة الْعَظِيمة وَالطَّامَّة الْعَمْيَاء. قَالَهُ الْقَارِي.

وَفِي النِّهَايَة: تَصْغِير الدَّهْمَاء، الْفِتْنَة الْمُظْلِمَة، وَالتَّصْغِير فِيهَا لِلتَّعْظِيم.

(إِلَّا لَطَمَتْهُ لَطْمَة) الْمُرَاد أَنَّ أَثَر تِلْكَ الْفِتْنَة يَعُمّ النَّاس، وَيَصِل لِكُلِّ أَحَد مِنْ ضَرَرهَا.

(فَإِذَا قِيلَ اِنْقَضَتْ): أَيْ: فَمَهْمَا تَوَهَّمُوا أَنَّ تِلْكَ الْفِتْنَة اِنْتَهَتْ.

(تَمَادَتْ): بِتَخْفِيفِ الدَّال، أَيْ: بَلَغَتْ الْمَدَىٰ، أَيْ: الْغَايَة مِنْ التَّمَادِي وَبِتَشْدِيدِ الدَّال مِنْ التَّمَادُد تَفَاعُل مِنْ الْمَدّ، أَيْ: اِسْتَطَالَتْ وَاسْتَمَرَّتْ وَاسْتَقَرَّتْ. قَالَهُ الْقَارِي.

أقسام الناس في زمن الفتن:

إن من سعادة العبد: أن يُسلمه الله -جل وعلا- من الفتن؛ لذلك قال -عليه الصلاة والسلام-: «**إن السعيد لمن جنب الفتن، إن السعيد لمن جنب الفتن، إن السعيد لمن جنب الفتن، ولمن ابتلي فصبر فواهًا**»[1].

والناس في الفتن علىٰ أقسام:

١ - العالم الرباني:

الذي نجاه الله تعالىٰ بما عنده من علم واستنباط، وإدراك للنصوص الشرعية، وتقدير مآلات الأمور، علىٰ وفق الضوابط الشرعية.

(١) رواه أبو داود في سننه عن المقداد بن الأسود رقم (٤٢٦٣)، وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

قال تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء:٨٣].

ولذلك ورد عن حذيفة ﷺ أنه قال: «كان الناس يسألون الرسول عن الخير، وكنت أساله عن الشر؛ مخافة أن يدركني».

٢- المتعرض لها، الساعي إليها:

وهذا وقود فتنة وحطب لنارها؛ فلذلك تجد أكثر الناس وقوعًا في الفتنة، بل ودعوة إليها هم أهل الأهواء والبدع، ومن كانت أصولهم سياسية أو حماسية غير منضبطة، فقبل أن تقع الفتنة يكون عندك إحساس أن هؤلاء سيخوضون ويتكلمون ويستشرفونها.

والذي يستعرض الفتن التي عصفت بالأمة يجد أن من استشرفها وكان وقودًا لها هم أهل الأهواء، ومن كانت أصولهم سياسية حزبية؛ حيث يظهرون بل ويتكسبون في إيقاد نار الفتن وبيع حطبها، نسأل الله السلامة والعافية.

قال رسول الله ﷺ: **«إنها ستكون فتن، ألا ثم تكون فتنة القاعد فيها خير من الماشي فيها، والماشي فيها خير من الساعي إليها، ألا فإذا نزلت أو وقعت فمن كان له إبل فليلحق بإبله، ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه، ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه»**[1].

فإن هؤلاء لما استشرفوا الفتن أُشربت قلوبهم الفتن -والعياذ بالله-، قال رسول الله ﷺ: **«فأي قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء، حتىٰ يصبح هذا القلب**

---

(١) رواه مسلم في كتاب الفتن.

-والعياذ بالله- أسود مربادًا كالكوز مجخيًا، لا يعرف معروفًا، ولا ينكر منكرًا إلا ما أشرب من هواه».

وعلىٰ كثرة المحن التي تصيب الأمة فَقلَّ من يعود من هؤلاء إلىٰ الضوابط الشرعية في التعامل مع الأزمات والفتن، وصدق -عليه الصلاة والسلام-: «لا ترجع قلوب أقوام علىٰ الذي كانت عليه»[1].

٣- طالب العلم المريد للحق المقتدي بمنهج العلماء الربانيين:

فطالب العلم والحق الذي يعلم أن الفتنة إذا أقبلت لا يعلمها إلا العلماء، وإذا أدبرت علمها كل أحد، الذي جعل أمام عينيه قول الله تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء:٨٣].

وقوله تعالىٰ: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل:٤٣].

ينجو بإذن الله تعالىٰ من الفتن.

٤- عوام الناس:

فهذا إن رزقه الله أهل علم يرشدونه ويبصرونه، أو سلم هو منها ومن دعاتها، وإلا هو علىٰ خطر عظيم.

وجوب اعتزال الفتن وخطورة استشرافها:

ذكر البخاري في صحيحه أن السلف كانوا يتمثلون بهذه الأبيات عند الفتن:

---

(١) أخرجه أبو داود برقم (٤٢٤٦)، وحسنه الألباني.

الحــرب أول مــا تكــون فتــية — تــسعىٰ بــزينتها لكــل جهــول
حتــىٰ إذا اشــتعلت وشــب — ولــت عجــوز غيــر ذات حلــيل
شــمطاء ينكــر لــونها وتغيــرت — مكــروهة للــشم والتقبــيل

إن الواجب علىٰ المسلم: أن يعتزل الفتن، وألا يستشرفها؛ فلذلك حذر الله تعالىٰ من ولوج الفتن في آيات كثيرة منها:

قال تعالىٰ: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الأنفال:٢٥].

قال الضحاك ويزيد بن أبي حبيب وغير واحد، وقال ابن مسعود: ما منكم من أحد إلا وهو مشتمل علىٰ فتنة، إن الله تعالىٰ يقول: ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [التغابن:١٥]، فأيكم استعاذ فليستعذ بالله من مضلات الفتن. رواه ابن جرير.

والقول بأن هذا التحذير يعم الصحابة وغيرهم وإن كان الخطاب معهم هو الصحيح، ويدل عليه الأحاديث الواردة في التحذير من الفتن[1].

وكذلك جاءت الأحاديث الكثيرة الصحيحة في التحذير من استشراف الفتن، منها:

١- كما في حديث حذيفة الطويل قال: قال -عليه الصلاة والسلام-: «**تكون فتنة، النائم فيها خير من المضطجع، والمضطجع فيها خير من القاعد، والقاعد فيها خير، والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الراكب، والراكب خير من المجري**».

قلت: يا رسول الله ومتىٰ ذلك؟

---

(١) تفسير ابن كثير (ج٢/ ص٨١).

قال: «**ذلك أيام الهرج**».

قلت: ومتىٰ أيام الهرج؟

قال: «**حين لا يأمن الرجل جليسه**».

قلت: فبم تأمرني إن أدركت ذلك الزمان؟

قال: «**اكفف نفسك ويدك، وادخل دارك**».

قال: قلت: يا رسول الله، أرأيت إن دخل علي داري ؟

قال: «**فادخل بيتك**».

قال: قلت: يا رسول الله، أرأيت إن دخل علي بيتي؟

قال: «**فادخل مسجدك واصنع هكذا -فقبض بيمينه علىٰ الكوع-، وقل: ربي الله، حتىٰ تموت علىٰ ذلك**»[1].

٢- قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**سَتكُونُ فِتَنٌ... مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ، فَمَنْ وَجَدَ مِنْهَا مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ**»[2].

قال ابن حجر في شرحه في الفتح الْحَدِيث قَالَ بَعْض الشُّرَّاح فِي قَوْله: «**وَالْقَاعِد فِيهَا خَيْر مِنْ الْقَائِم**»: أَيْ: الْقَاعِد فِي زَمَانهَا عَنْهَا.

قَالَ: وَالْمُرَاد بِالْقَائِمِ الَّذِي لَا يَسْتَشْرِفهَا، وَبِالْمَاشِي مَنْ يَمْشِي فِي أَسْبَابه لِأَمْرٍ سِوَاهَا، فَرُبَّمَا يَقَع بِسَبَبِ مَشْيه فِي أَمْر يَكْرَههُ، وَحَكَىٰ اِبْن التِّين عَنْ الدَّاوُدِيِّ أَنَّ الظَّاهِر أَنَّ الْمُرَاد مَنْ يَكُون مُبَاشِرًا لَهَا فِي الْأَحْوَال كُلّهَا، يَعْنِي: أَنَّ بَعْضهمْ فِي ذَلِكَ أَشَدّ مِنْ بَعْض.

---

(١) السلسلة الصحيحة - مختصرة (ج ٩/ ص ٣٤)، (٣٢٥٤).

(٢) رواه البخاري رقم (٦٥٥٤).

فَأَعْلَاهُمْ فِي ذَلِكَ السَّاعِي فِيهَا بِحَيْثُ يَكُون سَبَبًا لِإِثَارَتِهَا، ثُمَّ مَنْ يَكُون قَائِمًا بِأَسْبَابِهَا وَهُوَ الْمَاشِي، ثُمَّ مَنْ يَكُون مُبَاشِرًا لَهَا وَهُوَ الْقَائِم، ثُمَّ مَنْ يَكُون مَعَ النَّظَّارَة وَلَا يُقَاتِل وَهُوَ الْقَاعِد، ثُمَّ مَنْ يَكُون مُجْتَنِبًا لَهَا وَلَا يُبَاشِر وَلَا يَنْظُر وَهُوَ الْمُضْطَجِع الْيَقْظَان، ثُمَّ مَنْ لَا يَقَع مِنْهُ شَيْء مِنْ ذَلِكَ وَلَكِنَّهُ رَاضٍ وَهُوَ النَّائِم، وَالْمُرَاد بِالْأَفْضَلِيَّةِ فِي هَذِهِ الْخَيْرِيَّة مَنْ يَكُون أَقَلّ شَرًّا مِمَّنْ فَوْقَهُ عَلَىٰ التَّفْصِيل الْمَذْكُور.

قَوْله: (**مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا**) تَطَلَّعَ لَهَا بِأَنْ يَتَصَدَّىٰ وَيَتَعَرَّض لَهَا وَلَا يُعْرِض عَنْهَا.

قَوْله: (**تَسْتَشْرِفُهُ**) أَيْ: تُهْلِكهُ بِأَنْ يُشْرِف مِنْهَا عَلَىٰ الْهَلَاك، يُرِيد مَنْ انْتَصَبَ لَهَا انْتَصَبَتْ لَهُ، وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْهَا أَعْرَضَتْ عَنْهُ.

وَحَاصِله: أَنَّ مَنْ طَلَعَ فِيهَا بِشَخْصِهِ قَابَلَتْهُ بِشَرِّهَا، وَيَحْتَمِل أَنْ يَكُون الْمُرَاد مَنْ خَاطَرَ فِيهَا بِنَفْسِهِ أَهْلَكَتْهُ، وَنَحْوه قَوْل الْقَائِل: مَنْ غَالَبَهَا غَلَبَتْهُ.

قَوْله: (**مَلْجَأ**) أَيْ: يَلْتَجِئ إِلَيْهِ مِنْ شَرِّهَا.

قَوْله: (**فَلْيَعُذْ بِهِ**) أَيْ: لِيَعْتَزِلْ فِيهِ لِيَسْلَمَ مِنْ شَرّ الْفِتْنَة.

وعِنْدَ مُسْلِم فِي حَدِيث أَبِي بَكْرَة وَلَفْظه: «**فَإِذَا نَزَلَتْ فَمَنْ كَانَ لَهُ إِبِل فَلْيَلْحَقْ بِإِبِلِهِ...**» وَذَكَرَ الْغَنَم وَالْأَرْض.

قَالَ رَجُل: يَا رَسُول الله، أَرَأَيت مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ ؟

قَالَ: «**يَعْمِد إِلَىٰ سَيْفه فَيَدُقّ عَلَىٰ حَدّه بِحَجَرٍ ثُمَّ لِيَنْجُ إِنْ اِسْتَطَاعَ**».

وَفِيهِ التَّحْذِير مِنْ الْفِتْنَة وَالْحَثّ عَلَىٰ اِجْتِنَاب الدُّخُول فِيهَا، وَأَنَّ شَرّهَا يَكُون بِحَسَبِ التَّعَلُّق بِهَا، وَالْمُرَاد بِالْفِتْنَةِ مَا يَنْشَأ عَنْ الِاخْتِلَاف فِي طَلَب الْمُلْك حَيْثُ لَا يُعْلَم الْمُحِقّ مِنْ الْمُبْطِل.

٣- كما ورد في حديث حذيفة بن اليمان يقول: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ

عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني؛ فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟

قال: «**نعم**».

قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟

قال: «**نعم، وفيه دخن**».

قلت: وما دخنه؟

قال: «**قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر**».

قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟

قال: «**نعم، دعاة إلىٰ أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها**».

قلت: يا رسول الله، صفهم لنا؟

فقال: «**هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا**».

قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك.

قال: «**تلزم جماعة المسلمين وإمامهم**».

قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟

قال: «**فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتىٰ يدركك الموت وأنت علىٰ ذلك**»[١].

وأخرجه أبو داود عن حذيفة ﷺ بلفظ: قال: قلت: يا رسول الله، هل بعد

---

(١) صحيح البخاري (ج٣/ ص١٣١٩).
نسأل الله العلي العظيم أن يبارك في أعمارنا وأوقاتنا حتىٰ ننتهي من كتابة رسالة لطيفة بعنوان: اللؤلؤ والمرجان في بعض الفائدة المستفادة من حديثي العرباض بن سارية وحذيفة بن اليمان رضي الله عنهما .

هذا الخير شر؟

قال: «**فتنة وشر**».

قال: قلت: يا رسول الله، هل بعد هذا الشر خير؟

قال: «**يا حذيفة، تعلم كتاب الله واتبع ما فيه**» ثلاث مرار.

قال: قلت: يا رسول الله، هل بعد هذا الشر خير؟

قال: «**هدنة علىٰ دخن، وجماعة علىٰ أقذاء فيها أو فيهم**».

قلت: يا رسول الله، الهدنة علىٰ دخن ما هي؟

قال: «**لا ترجع قلوب أقوام علىٰ الذي كانت عليه**».

قال: قلت: يا رسول الله، أبعد هذا الخير شر؟

قال: «**فتنة عمياء صماء، عليها دعاة علىٰ أبواب النار، فإن تمُت يا حذيفة وأنت عاض علىٰ جذل خير لك من أن تتبع أحدًا منهم**»(١).

٤- عن أبي موسىٰ الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن بين يدي الساعة فتنًا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمنًا ويمسي كافرًا، ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، القاعد فيها خير من القائم، والماشي فيها خير من الساعي، فكسِّروا قسيكم، وقطعوا أوتاركم، واضربوا سيوفكم بالحجارة؛ فإن دخل -يعني علىٰ أحد منكم- فليكن كخير ابني آدم**»(٢).

٥- عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: بينما نحن حول رسول الله ﷺ إذ ذكر الفتنة، فقال: «**إذا رأيتم الناس قد مرجت عهودهم، وخفت أماناتهم، وكانوا هكذا -وشبك بين أصابعه-**».

---

(١) سنن أبي داود (ج٤/ ص٩٦) (٤٢٤٦)، وحسنه العلامة الألباني.

(٢) سنن أبي داود (ج٤/ ص١٠٠)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ.

قال: فقمت إليه، فقلت: كيف أفعل عند ذلك جعلني الله فداك؟

قال: «**الزم بيتك، واملك عليك لسانك، وخذ بما تعرف، ودع ما تنكر، وعليك بأمر خاصة نفسك، ودع عنك أمر العامة**»[١].

وفي لفظ: فقالوا: وكيف بنا يا رسول الله؟

قال: «**تأخذون ما تعرفون، وتذرون ما تنكرون، وتقبلون علىٰ أمر خاصتكم، وتذرون أمر عامتكم**»[٢].

أسباب الوقوع في الفتن:

إن أصل كل خير هو اتباع الهدىٰ، كما أن أصل كل شر هو اتباع الهوىٰ.

والهدىٰ يدرك بالعلم النافع، ويقع العبد أسيرًا للهوىٰ بالجهل، إما جهلًا بالشرع، أو جهلًا بالله تعالىٰ وبأسمائه وصفاته.

وجماع أسباب الولوج في الفتن: هو اتباع الشبهات والشهوات.

ومنه تتفرع الأسباب الكثيرة التي تؤدي للوقوع في الفتن، ومنها:

١ - الجهل:

لذلك لما أخبر النبي ﷺ عن وقوع الفتن والقتل جعل ذلك رديفًا لظهور الجهل، كما ورد في الحديث عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**يتقارب الزمان، ويقبض العلم، وتظهر الفتن، ويلقىٰ الشح، ويكثر الهرج**»، قالوا: وما الهرج؟ قال: «**القتل**»[٣].

---

(١) سنن أبي داود (ج٤/ ص١٢٤)، رقم (٤٣٤٣)، وصححه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) سنن أبي داود (ج٤/ ص١٢٤)، رقم (٤٣٤٢).

(٣) صحيح مسلم (ج٤/ ص٢٠٥٧).

٢- ظهور أئمة الضلال:

وقال -عليه الصلاة والسلام-: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتىٰ إذا لم يترك عالمًا اتخذ الناس رءوسًا جهالًا؛ فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا»(١).

قال -عليه الصلاة والسلام-: «من أخوف ما أخاف علىٰ أمتي أئمة مضلون، إذا وقع السيف لم يرفع إلىٰ يوم القيامة»(٢).

٣- مخالفة هدي النبي -عليه الصلاة والسلام- من أعظم أسباب الوقوع في الفتنة:

قال تعالىٰ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣].

٤- الخلل في منهج التلقي:

من المعلوم أن أهل السنة يتلقون منهجهم من الكتاب والسنة، بفهم السلف الصالح، ومن تبعهم بإحسان من أئمة السلف المشهود لهم بالفضل والعلم، ثم من سار علىٰ طريقهم ومنهجهم عقيدة وسلوكًا.

وأي خلل في منهج التلقي فإن عاقبته وخيمة؛ فما انحرفت الفرق الضالة قديمًا وحديثًا إلا يوم أصابهم الخلل في منهج التلقي؛ فلا يسع المسلم الخروج عن منهج السلف الصالح في فهم الكتاب والسنة؛ فإن جميع الفرق مهما اختلفت

(١) صحيح مسلم (ج٤/ ص٢٠٥٨).

(٢) الحديث صححه الألباني في الصحيحة برقم (١٥٨٢).

مسمياتها لا يمكنها التبرؤ من سلف هذه الأمة إلا من لا يعتد به من الروافض وأمثالهم ممَّن طعنوا في سلف هذه الأمة.

فلذلك الواجب على الأمة الرجوع إلى الكتاب والسنة وفهمهما بفهم السلف الصالح، وهم القرون الأولى ومن سار على نهجهم.

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة:١٠٠].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥].

عن العرباض بن سارية: وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا بَعْدَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟

قَالَ: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَىٰ اللهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَىٰ اخْتِلَافًا كَثِيرًا، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ»(١).

٥- الغلو في الدين:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ﴾ [النساء:١٧١].

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا

---

(١) رواه الترمذي عَنْ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رقم (٢٦٧٦)، وصححه الشيخ الألباني.

تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [المائدة:٧٧].

لذلك بوب الإمام البخاري في صحيحه: باب ما يكره من التعمق والتنازع في العلم، والغلو في الدين والبدع، لقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ (١).

٦- ترك المحكم واتباع المتشابه:

قال تعالىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران:٧].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في تفسير هذه الآية:** «وأن هذا الكتاب يحتوي علىٰ المحكم الواضح المعاني البين الذي لا يشتبه بغيره، ومنه آيات متشابهات تحتمل بعض المعاني، ولا يتعين منها واحد من الاحتمالين بمجردها حتىٰ تضم إلىٰ المحكم؛ فالذين في قلوبهم مرض وزيغ وانحراف لسوء قصدهم يتبعون المتشابه منه، فيستدلون به علىٰ مقالاتهم الباطلة وآرائهم الزائفة؛ طلبًا للفتنة وتحريفًا لكتابه وتأويلًا له علىٰ مشاربهم ومذاهبهم؛ ليضلوا ويضلوا.

وأما أهل العلم الراسخون فيه، الذين وصل العلم واليقين إلىٰ أفئدتهم، فأثمر لهم العمل والمعارف؛ فيعلمون أن القرآن كله من عند الله، وأنه كله حق محكمه ومتشابهه، وأن الحق لا يتناقض ولا يختلف؛ فلعلمهم أن المحكمات

(١) صحيح البخاري (ج٦/ ص٢٦٦١).

معناها في غاية الصراحة والبيان، يردون إليها المشتبه الذي تحصل فيه الحيرة لناقص العلم وناقص المعرفة؛ فيردون المتشابه إلىٰ المحكم، فيعود كله محكمًا، ويقولون: آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر للأمور النافعة والعلوم الصائبة»[(١)].

٧- حب الإمارة:

إن ممَّا ابتلي به الكثير -نسأل الله السلامة والعافية-: هو حب الإمارة، وإن الذي يعيش أو عاش في العراق يرىٰ أن من أعظم أسباب الفتن هناك والبغي بغير الحق هو الرياسة والإمارة، سواء علىٰ الصعيد الذي يسمىٰ (السياسي)، أو علىٰ صعيد الجماعات المسلحة؛ حيث إن لكل جماعة صغيرة أمير، وأتباع، وحرس، وأموال تنثر بين يديه، فأصبحت الأمارة تطلب لذاتها؛ وذلك جهلًا أو تجاهلًا لخطورة الأمر لمن لم يقم بحقها.

ومن وصايا الرسول ﷺ: قَوْلِهِ لِأَبِي ذَرٍّ ﷺ فِي الْإِمَارَةِ: «**إِنَّهَا أَمَانَةٌ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّىٰ الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا**»[(٢)].

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**إنكم ستحرصون علىٰ الإمارة، وستكون ندامة يوم القيامة، فنعم المرضعة وبئست الفاطمة**»[(٣)].

وقال -عليه الصلاة والسلام-: «**بادروا بالأعمال خصالًا ستًّا: إمرة السفهاء، وكثرة الشرط، وقطيعة الرحم، وبيع الحكم، واستخفافًا بالدم، ونشوًا يتخذون القرآن مزامير يقدمون الرجل ليس بأفقههم ولا أعلمهم؛ ما يقدمونه إلا ليغنيهم**»[(٤)].

---

(١) تفسير السعدي (ج١/ ص١٢٢).

(٢) رواه مسلم.

(٣) صحيح البخاري (ج٦/ ص٢٦٠٤- ٦٧٢٩).

(٤) صحيح، السلسلة الصحيحة - مختصرة (ج ٢/ ص ٦٧٢) (رقم ٩٧٩).

وإن من عظم البلاء في هذا البلد الغارق في الفتن: أن هؤلاء الأمراء يأمرون أتباعهم بالطاعة العمياء من باب طاعة الأمير، بل إن الكثير من هؤلاء الأتباع يؤمر بالقتل، وهو لا يدري ما هي جناية وذنب من قتله، فإذا سُئل: لماذا قتلتم؟ فلان يجيبك فورًا: جاء الأمر من القيادة، وما علينا نحن إلا التنفيذ!!

وعندما يسمع الناس بأن فلانًا قد قُتل؛ فمنهم من ينكر بلسانه، ومنهم من ينكر بقلبه، ومنهم من يقول: لابد أن يكون جاسوسًا وإلا لماذا قتلوه؟

وهكذا يتكرر هذا الأمر عشرات المرات يوميًّا في أنحاء البلاد.

فكم من قتيل في العراق قتل ظلمًا وهو لا يدري لم قتل.

وكم من أطفال ينتظرون أباهم يعود إليهم بكيس الحلوىٰ، وإذا بهم يرون أباهم قد ألقي علىٰ قارعة الطريق ووضع رأسه فوق صدره.

وكم من زوجة مسكينة تنتظر زوجها يعود إليها في آخر النهار حاملًا قوت يومه، وإذا بها تفجع به وقد أُتي به مشوهًا قد مثل به، وهكذا تفعل الأهواء والاستخفاف بالدماء.

٨- حب المال:

أن مما جعل الكثير يقع في الفتن: الركض وراء المال؛ ولأنه طريق سريع للثراء انخرط الكثير من الشباب في هذه الجماعات الحزبية المسلحة.

المبحث الثامن: أسباب النجاة من الفتن:

وعلىٰ المسلم الحرص علىٰ التزام ما به يعتصم من الفتن وينجو بإذن الله تعالىٰ.

ومن هذه الأسباب التي يجب أن يتعاهدها المسلم هي:

١ - تقوىٰ الله -جل وعلا-:

قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق:٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق:٤].

٢- تحقيق الإيمان بالله تعالىٰ:

﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن:١١].

٣- كثرة الاستعاذة بالله من الفتن:

عن أنس ﷺ قال: سألوا النبي ﷺ حتىٰ أحفوه بالمسألة، فصعد النبي ﷺ ذات يوم المنبر فقال: «لا تسألوني عن شيء إلا بينت لكم»، فجعلت انظر يمينًا وشمالًا، فإذا كل رجل رأسه في ثوبه يبكي، فأنشأ رجل كان إذا لاحىٰ يدعىٰ إلىٰ غير أبيه؛ فقال: يا نبي الله، من أبي؟

فقال: «أبوك حذافة».

ثم أنشأ عمر فقال: رضينا بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولًا، نعوذ بالله من سوء الفتن.

فقال النبي ﷺ: **«ما رأيت في الخير والشر كاليوم قط، إنه صورت لي الجنة والنار حتىٰ رأيتهما دون الحائط».**

قال: فكان قتادة يذكر هذا الحديث عند هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة:١٠١].

وقال عباس النرسي: حدثنا يزيد بن زريع: حدثنا سعيد: حدثنا قتادة: أن أنسًا حدثهم أن نبي الله ﷺ بهذا، وقال كل رجل لافًّا رأسه في ثوبه يبكي، وقال عائذًا بالله من سوء الفتن، أو قال: أعوذ بالله من سوأىٰ الفتن.

وقال لي خليفة: حدثنا يزيد بن زريع: حدثنا سعيد ومعتمر، عن أبيه، عن قتادة أن أنسًا حدثهم عن النبيﷺ بهذا، وقال: «**عائذًا بالله من شر الفتن**»(١).

٤- متابعة الرسول -عليه الصلاة والسلام- ظاهرًا وباطنًا:

قال تعالىٰ: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ [الأعراف:١٥٨]، فالله -جل وعلا- جعل متابعة الرسول -عليه الصلاة والسلام- سببًا للاهتداء.

وقال تعالىٰ: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣].

وقال تعالىٰ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾ [النساء:٥٩].

٥- التمسك بمنهج السلف الصالح:

قال الرسول -عليه الصلاة والسلام-: «**إنها ستكون فتنة**».

فقالوا: كيف لنا يا رسول الله أو كيف نصنع؟

قال: «**ترجعون إلىٰ أمركم الأول**»(٢).

أي: الأمر الذي كان عليه سلف هذه الأمة، كما قال الإمام مالك: «لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، فما لم يكن يومئذٍ دينًا لا يكون اليوم دينًا»(٣).

---

(١) صحيح البخاري (ج٦/ ص٢٥٩٥) (رقم ٦٦٧٨).

(٢) السلسلة الصحيحة - مختصرة (ج ٨/ ص ١٧٢)، (٣١٦٥).

(٣) ذكره الشيخ الألباني في حجة النبيﷺ كما رواها عنه جابر (ج ١/ ص١٠٣).

٦- لزوم العلماء الربانيين وأخذ كلامهم وخصوصًا في زمن الفتن:

قال تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء:٨٣].

وقد قيل: إن الفتنة إذا أقبلت لا يعلمها إلا العلماء، وإذا أدبرت عرفها كل أحد.

والعالم الرباني هو العالم بالكتاب والسنة علىٰ منهج السلف، وهو العالم بالتوحيد علىٰ وجه الخصوص والعمل به الداعي إليه.

قال السعدي في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران:١٨] **قال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: دليل علىٰ أن أشرف الأمور علم التوحيد؛ لأن الله شهد به بنفسه، وأشهد عليه خواص خلقه، والشهادة لا تكون إلا عن علم ويقين، بمنزلة المشاهدة للبصر، ففيه دليل علىٰ أن من لم يصل في علم التوحيد إلىٰ هذه الحالة فليس من أولي العلم.

وفي هذه الآية دليل علىٰ شرف العلم من وجوه كثيرة، منها: أن الله خصهم بالشهادة علىٰ أعظم مشهود عليه دون الناس.

ومنها: أن الله قرن شهادتهم بشهادته وشهادة ملائكته، وكفىٰ بذلك فضلًا.

ومنها: أنه جعلهم أولي العلم، فأضافهم إلىٰ العلم، إذ هم القائمون به المتصفون بصفته.

ومنها: أنه تعالىٰ جعلهم شهداء وحجة علىٰ الناس، وألزم الناس العمل بالأمر المشهود به، فيكونون هم السبب في ذلك، فيكون كل من عمل بذلك نالهم من أجره، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

ومنها: أن إشهاده تعالىٰ أهل العلم يتضمن ذلك تزكيتهم وتعديلهم، وأنهم أمناء علىٰ ما استرعاهم عليه»(١). اهـ

وقيل: الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره.

وقال عطاء: علماء حكماء نُصحاء لله في خلقه.

قال أبو عبيدة: سمعت رجلا عالمًا يقول: الرباني العالم بالحلال والحرام، والأمر والنهي، العالم بأنباء الأمة ما كان وما يكون.

وقيل: الربانيون فوق الأحبار، والأحبار: العلماء، والربانيون: الذين جمعوا مع العلم البصارة بسياسة الناس(٢).

٧- لزوم جماعة المؤمنين:

والمقصود بجماعة المؤمنين هم أهل الحق وإن كانوا قليل، وخصوصًا أهل العلم منهم.

قال تعالىٰ: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ [النساء:١١٥].

بوب البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الصحيح: باب قوله تعالىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا ﴾ [البقرة:١٤٣]، وما أمر النبيﷺ بلزوم الجماعة وهم أهل العلم(٣).

وقال -عليه الصلاة والسلام- كما في حديث حذيفة الطويل وهو في الصحيحين: **«دعاة علىٰ أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها»**.

(١) انظر: تفسير السعدي.

(٢) معالم التنزيل للبغوي (ج ٢/ ص ٦٠).

(٣) صحيح البخاري (ج٦/ ص٢٦٧٥).

قلت: يا رسول الله، صفهم لنا.

قال: «**هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا**».

قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟

قال: «**تلزم جماعة المسلمين وإمامهم**».

قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟

قال: «**فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتىٰ يدركك الموت وأنت علىٰ ذلك**».

ولا يعني بالجماعة هنا الكثرة، بل ما وافق الحق ولو كان أتباعه قليل؛ لذلك وصف الله تعالىٰ نبيه إبراهيم الخليل -عليه وعلىٰ نبينا أفضل الصلاة والسلام- أمة مع أنه كان وحيدًا قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل:١٢٠].

٨- اعتزال الفتن:

وقد مر بنا بعض النصوص في ذلك قريبًا.

٩- الصبر:

قال تعالىٰ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف:١٣٧].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة:١٥٣].

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ؛ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ**

خَيْرًا لَهُ»(١).

١٠- الإكثار من الطاعات:

قال -عليه الصلاة والسلام-: «**العبادة في الهرج كهجرة إليَّ**»(٢).

وبوب الإمام مسلم في صحيحه: بَاب الْحَثِّ عَلَى الْمُبَادَرَةِ بِالْأَعْمَالِ قَبْلَ تَظَاهُرِ الْفِتَنِ، ثم ذكر حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنْ الدُّنْيَا**»(٣).

وقال -عليه الصلاة والسلام-: «**بادروا بالأعمال خصالًا ستًّا: إمرة السفهاء، وكثرة الشرط، وقطيعة الرحم، وبيع الحكم، واستخفافًا بالدم، ونشوًا يتخذون القرآن مزامير يقدمون الرجل ليس بأفقههم ولا أعلمهم؛ ما يقدمونه إلا ليغنيهم**»(٤).

* * *

(١) رواه مسلم (رقم ٥٣١٨).

(٢) صحيح مسلم (ج ١/ ص ٢٩٦).

(٣) صحيح مسلم (ج ١/ ص ٢٩٧) برقم (١٦٩).

(٤) صحيح، السلسلة الصحيحة - مختصرة (ج ٢/ ص ٦٧٢) (رقم ٩٧٩).

الفصل الثاني:
تعظيم حرمة دم المسلم بغير حق

مما لا خلاف فيه بين المسلمين: تعظيم حرمة دم المسلم بغير الحق، بل وحرمة دم الكافر إذا كان معاهدًا أو ذميًّا، وفي القرآن الكريم الكثير من النصوص التي تدل علىٰ هذا المعنىٰ، ومنه قال سبحانه وتعالى:

١- ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:٩٣].

٢- ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [المائدة:٣٢].

وقال -عليه الصلاة والسلام-:

١- «**لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض**»[(١)].

٢- عن أبي موسىٰ عن النبي ﷺ قال: «**من حمل علينا السلاح فليس منا**»[(٢)].

٣- عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**لا يشير أحدكم إلىٰ أخيه بالسلاح؛**

---

(١) رواه البخاري في الصحيح.

(٢) صحيح البخاري (ج٦/ ص٢٥٩٢)، (رقم ٦٦٦٠).

فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزغ في يده فيقع في حفرة من النار»[١].

٤- عن جابر بن عبد الله قال: مر رجل بسهام في المسجد، فقال له رسول الله ﷺ: «**أمسك بنصالها**» قال: نعم[٢].

٥- وقال -عليه الصلاة والسلام-: «**لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله و أني رسول الله إلا بإحدىٰ ثلاث: الثيب الزاني، و النفس بالنفس، و التارك لدينه المفارق للجماعة**»[٣].

٦- وقال -عليه الصلاة والسلام- : «**إذا أشار الرجل إلىٰ أخيه بالسلاح فهما علىٰ جرف جهنم، فإذا قتله، وقعا فيه جميعًا**»[٤].

٧- عن أبي الدرداء يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كل ذنب عسىٰ الله أن يغفره إلا من مات مشركًا، أو مؤمن قتل مؤمنًا متعمدًا**»[٥].

٨- وفي رواية عبادة بن الصامت أنه سمعه يحدث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من قتل مؤمنًا فاعتبط بقتله لم يقبل الله منه صرفًا ولا عدلًا**»[٦].

٩- عن خالد بن دهقان سألت يحيىٰ بن يحيىٰ الغساني عن قوله: «**اعتبط بقتله**» قال: الذين يقاتلون في الفتنة، فيقتل أحدهم فيرىٰ أنه علىٰ هدىٰ لا يستغفر الله -يعني من ذلك-، قال أبو داود: فاعتبط يصب دمه صبًّا[٧].

---

(١) رواه البخاري رقم (٦٦٦١).

(٢) رواه البخاري رقم (٦٦٦٢).

(٣) صححه الشيخ الألباني، انظر حديث رقم (٧٦٤٣) في صحيح الجامع.

(٤) صححه الشيخ الألباني، انظر السلسلة الصحيحة (٣/ ٢٣٢) (ص ٣٠٥).

(٥) سنن أبي داود (رقم ٤٢٧٠)، صححه الشيخ الألباني.

(٦) صححه الشيخ الألباني في سنن أبي داود رقم (٤٢٧٠).

(٧) سنن أبي داود (٤٢٧١) (ج ٩/ ص٢٧١)، قال العلامة الألباني: صحيح مقطوع.

اعتبط بقتله، قال الخطابي: يريد أنه قتله ظلمًا.

وقيل: هو من القبطة أي: الفرح والسرور؛ وذلك لأن القاتل يفرح بقتل خصمه(١).

١٠- وفي رواية عن أم الدرداء عن أبي الدرداء أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يزال المؤمن معنقًا صالحًا ما لم يصب دمًا حرامًا، فإذا أصاب دمًا حرامًا بلح**»(٢).

ومعنىٰ (بَلَّحَ): أَعْيَا وَانْقَطَعَ. قَالَهُ الْخَطَّابِيُّ.

وَقَالَ فِي النِّهَايَة: يُقَال بَلَّحَ الرَّجُل إِذَا انْقَطَعَ مِنْ الْإِعْيَاء فَلَمْ يَقْدِر أَنْ يَتَحَرَّك، وَقَدْ أَبْلَحَهُ السَّيْر فَانْقَطَعَ بِهِ يُرِيد وُقُوعه فِي الْهَلَاك بِإِصَابَةِ الدَّم الْحَرَام(٣).

١١- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَىٰ الله ثَلَاثَةٌ: مُلْحِدٌ فِي الْحَرَمِ، وَمُبْتَغٍ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَمُطَّلِبُ دَمِ امْرِئٍ بِغَيْرِ حَقٍّ لِيُهَرِيقَ دَمَهُ**»(٤).

١١- [«**كل ذنب عسىٰ الله أن يغفره؛ إلا من مات مشركًا، أو مؤمن قتل مؤمنًا متعمدًا**»](٥).

قال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: والحديث في ظاهره مخالف لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾؛ لأن القتل دون الشرك قطعًا؛

(١) انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود (ج ٩/ ص ٣٠٧).

(٢) سنن أبي داود رقم (٤٢٧٠)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير (ج ١٩/ ص٣٥٥).

(٣) انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود (ج ٩/ ص٣٠٧).

(٤) انظر: السلسلة الصحيحة مختصرة (ج ٢/ ص ٣٨) رقم (٦٣٧٤).

(٥) صحيح، رواه أبو داود، وصححه الشيخ الألباني(رقم٤٢٧٠)، وانظر صحيح وضعيف الجامع الصغير (ج ١٨/ ص٣٠٠).

فكيف لا يغفره الله؟ ! وقد وفق المناوي تبعًا لغيره بحمل الحديث على ما إذا استحل؛ وإلا فهو تهويل وتغليظ، وخير منه قول السندي في حاشيته على النسائي: وكأن المراد كل ذنب ترجى مغفرته ابتداء إلا قتل المؤمن، فإنه لا يغفر بلا سبق عقوبة، وإلا الكفر؛ فإنه لا يغفر أصلًا... تابع الشرح في الكتاب إن أردت زيادة(١).

١٣- قال -عليه الصلاة والسلام-: «**لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم**»(٢).

١٤- قال رسول الله ﷺ: «**إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار**». قيل: يا رسول الله، هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: «**إنه قد أراد قتل صاحبه**»(٣).

أهم ما دلت عليه هذه النصوص:

والذي يتأمل هذه النصوص يجد فيها التأكيد على حرمة دم المسلم بغير حق، وكذلك حرمة جميع الأسباب والذرائع التي تؤدي لذلك أو تكون سببًا فيها.

فحرم -تبارك وتعالى- حمل السلاح بوجه المسلم، أو الإشارة إليه بالسلاح، أو المرور في أسواق المسلمين أو مساجدهم شاهرًا السلاح.

وحرم الله -تبارك وتعالى- القتال في زمن الفتنة، وجعل ذنب القتل بغير الحق من أعظم الذنوب بعد الشرك، فلا أدري ماذا يقول من لم يسلم منه الصغير ولا الكبير، بل ولم يسلم من شره أسواق المسلمين ولا مساجدهم؟ والله المستعان.

ونحن نعيش في بلاد أصبح أسهل وأرخص شيء على بعض الناس دم

---

(١) وانظر صحيح الترغيب والترهيب (ج ٢/ ص ٣١٦).

(٢) صححه الشيخ الألباني، انظر حديث رقم (٥٠٧٧) في صحيح الجامع.

(٣) صحيح مسلم (ج ٤/ ص ٢٢١٣).

المسلم لأدنىٰ سبب، قتل بالليل والنهار، وقتل روَّاد المساجد والأسواق، جثث تلقىٰ في الطرقات وفي الأنهار.

والأمر لله من قبل ومن بعد، وإليه المشتكىٰ، لا إله إلا هو الواحد القهار.

الفصل الثالث: رؤية شرعية للنوازل والفتن في الساحة العراقية

وهذا الفصل هو لبُّ وصُلب الكتاب، وعليه تدور فصوله، إما تمهيدًا أو تكميلًا لما فيه من مباحث أعتقدها مهمة لابد منها لكل مسلم بصوره عامة، ولكل طالب علم بصوره خاصة، ولمن يعيش في العراق بصورة أخص.

المبحث الأول: ضوابط معرفة النوازل.

المبحث الثاني: أقسام النوازل.

المبحث الثالث: ضوابط الإفتاء في النوازل.

المبحث الرابع: صفات المفتي في النوازل.

المبحث الخامس: قواعد وأصول وضوابط لابد من معرفتها عند حلول النوازل والفتن، معناها، وأدلتها، وكيفية الاستفادة منها في الساحة العراقية.

❊ ❊ ❊

المبحث الأول[1]

أولًا: تعريف النوازل:

مرَّ بنا في الفصل الأول تعريف الفتن لغة واصطلاحًا، ويحسن بنا هنا نقل كلام العلماء في تعريف النوازل وأنواعها.

النوازل لغة: جمع نازلة، وهي اسم فاعل من نزل ينزل إذا حل، وأصبح يطلق علىٰ الشدة من شدائد الدهر، كما قال الشاعر:

ورب نازلـــة يـــضيق بهـــا الفتـــىٰ ذرعًـــا وعـــند الله مـــنها مخـــرج

انظر: لسان العرب (١١/ ٦٥٦)، والمصباح المنير (٦٠١) نقلًا عن فقه النوازل للجيزاني.

النوازل اصطلاحًا: للفقهاء في تعريفها مذاهب، ولكن الذي اشتهر وشاع عند الفقهاء عامة إطلاق النازلة علىٰ المسألة الواقعة الجديدة التي تتطلب اجتهادًا وبيان حكم.

قال ابن عبد البر: باب اجتهاد الرأي علىٰ الأصول عند عدم النصوص في حين نزول النازلة.

انظر: بيان العلم وفضله لابن عبد البر.

---

(١) انظر: تفصيل ذلك كتاب فقه النوازل للجيزاني، وكذلك فقه النوازل لبكر أبي زيد رَحِمَهُ اللَّهُ.

قال ابن القيم: كان الصحابة يجتهدون في النوازل[١].

وعلىٰ هذا يعرف فقه النوازل بأنه معرفة الأحكام الشرعية للوقائع المستجدة الملحة.

ثانيًا: ضوابط معرفة النوازل:

جعل العلماء للنوازل ضوابط مستنبطة من التعريف اللغوي والاصطلاحي للنوازل هي:

١- **الضابط الأول:** الوقوع؛ أي: الحصول والحلول ويخرج بهذا القيد المسائل غير النازلة، وهي المسائل الافتراضية، والمسائل الافتراضية نوعان:

أ- مستحيلة الوقوع؛ فالخوض فيها مضيعة للوقت، وكان السلف يكرهونه.

ب- ممكنة الوقوع، وهي نوعان:

الأولىٰ: مستبعدة الوقوع.

الثانية: متوقعة الوقوع؛ فلا بأس أن يسأل عنها من باب أخذ التدابير الشرعية لها المبنية علىٰ الأحكام الشرعية.

٢- **الضابط الثاني:** أن تكون جديدة لم تقع من قبل، وقد خرج بهذا القيد نوازل العصور الأولىٰ.

٣- **الضابط الثالث:** الشدة، ومعناها أن تكون الحاجة مُلِحّة من جهة النظر الشرعي.

وقد خرج بهذا القيد النوازل الجديدة إلا إنها لا تحتاج إلىٰ حكم شرعي، كالكوارث التي تحدث في الطبيعة بتقدير الله تعالىٰ لها.

---

(١) إعلام الموقعين (١/ ٢٠٣).

ثالثًا: أقسام النوازل:

تقسم النوازل باعتبارات كثيرة من حيث موضوعها، ومن حيث كثرة وقوعها، ومن حيث خطورتها، وهذا التقسيم الأخير هو الذي يعنينا في رسالتنا هذه.

تقسم النوازل من حيث خطورتها إلىٰ نوعين:

١- **النوازل الكبرىٰ**: وهي القضايا الكبرىٰ التي تصيب أمة الإسلام، أي: تلك الحوادث والبلايا التي تُدبر للقضاء علىٰ المسلمين من قبل أعدائهم، وما يتصل بذلك من المكائد والمؤامرات والحروب المعلنة وغير المعلنة في شتىٰ المجالات العسكرية، والسياسية، والفكرية وغيرها، وهذا النوع هو الذي يخص رسالتنا هذه.

٢- **نوازل أخرىٰ دون ذلك**: وهي كثير لا يتسع المقام هنا لذكرها، مثل النوازل في باب الطب، ونقل أعضاء الإنسان، وطفل ما يسمىٰ بالأنابيب وغيرها، وكذلك نوازل في باب التجارة والسياسة وغيرها[1].

❊ ❊ ❊

(١) انظر: تفصيل ذلك كتاب فقه النوازل للجيزاني، وكذلك فقه النوازل لبكر أبي زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

المبحث الثاني: قواعد وضوابط فقهية يجب مراعاتها في الفتن وعند حلول النوازل العامة(١)

وقبل البدء في تعداد بعض القواعد الفقهية التي يجب الإحاطة بها في زمن الفتن، لابد أن نُعرِّف القواعد الفقهية حتىٰ نستطيع تصور فائدة هذه القواعد:

تتكون لفظة (القاعدة الفقهية) من كلمتين، ولكل واحدة منها معنىٰ.

القاعدة لغة: أصل الشيء وأساسه الذي يقوم عليه، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾ [البقرة:١٢٧].

وفي الاصطلاح: قضية كلية منطبقة علىٰ جميع جزئياتها(٢).

الفقه لغة: معناه الفهم، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ﴾ [هود:٩١].

الفقه اصطلاحًا هو: معرفة الأحكام العمليَّة بأدلتها التفصيلِيَّة(٣).

الضابط الفقهي:

الضابط لغة: لزوم الشيء وعدم مفارقته، وفيه معنىٰ الحبس، كما يطلق أيضًا علىٰ الشدة والقوة؛ فيقال: رجل ضابط، أي: قوي شديد حازم(٤).

---

(١) انظر كتاب فقه الفتن للأدريسي (ص٥٨٥).

(٢) انظر لسان العرب مادة (ق ع د)، والقواعد الفقهية للباحثين (ص١٢٥) ط مكتبة الرشد.

(٣) انظر شرح الممتع للعثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٤) انظر لسان العرب مادة (ضبط).

اصطلاحًا: أمر كلي ينطبق على جزئياته لتُعرف جزئياتها منه، وبعض العلماء يجعل الضابط مرادفًا للقاعدة[١].

تعريف الضابط الفقهي في الاصطلاح: هو حكم شرعي عملي ينطبق على صور عملية متعددة من باب واحد تُعرف أحكامه منه[٢].

أهمية القواعد الفقهية: قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لابد أن يكون مع الإنسان أصول كلية يرد إليها الجزئيات كيف وقعت، وإلا يبقى في كذب وجهل الجزئيات، وجهل وظلم في الكليات فيتولد فساد عظيم»[٣].

ثم جعل شيخ الإسلام تنزيل الحوادث على القواعد شرطًا فيمن يتصدر للإفتاء[٤].

قال ابن رجب في بداية القواعد الفقهية: «فهذه قواعد مهمة، وفوائد جمة، تضبط للفقيه أصول المذهب، وتطلعه من مآخذ الفقه ما كان منه قد تغيب، وتنظم له منثور المسائل في سلك واحد، وتقيد له الشوارد، وتقرب عليه كل متباعد»[٥].

وهذه مجموعة من القواعد الأصولية والفقهية التي وضعها علماء الإسلام التي يجب مراعتها في زمن الفتن، وعند حلول النوازل العامة، وهذه القواعد يحتاجها المفتي حتى تكون فتواه مطابقة لمقصود الشارع في الاحتياط في زمن الفتن من كل ما يسبب في انتشارها وتهيجها ولقطع مسبباتها وسبل انتشارها.

---

(١) انظر غمز عيون البصائر للحموي، ط بيروت، دار الكتب العلمية.

(٢) انظر تفصيل ذلك في كتاب فقه الدعوة عند شيخ الإسلام لعايد الثبيتي.

(٣) انظر المجموع (١٠/ ٢٠٣).

(٤) انظر الاستقامة لشيخ الإسلام، ط١ بيروت، ابن حزم.

(٥) انظر القواعد الفقهية لابن رجب الحنبلي.

ويحتاجها طالب العلم حتىٰ يستطيع أن يميز الفتاوىٰ التي تصدر في كيفية التعامل مع الفتن؛ فيستطيع أن يميز عند اختلاف الفتاوىٰ بين الفتوىٰ المنضبطة بالشرع وأصوله وقواعده، وبين الفتاوىٰ التي ترىٰ أثر العاطفة فيها واضحًا، وأقصد العاطفة التي تحمل صاحبها علىٰ ترك الضوابط الشرعية أو بعضها، أما عوام الناس فهم في الغالب يتأثرون بمن حولهم من أهل العلم.

ذكر بعض من هذه القواعد والضوابط:

١- النظر في مآلات الأفعال:

قال الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «النظر في مآلات الأفعال معتبر مقصود شرعًا؛ وذلك أن المجتهد لا يحكم علىٰ الأفعال الصادرة من المكلفين بالإقدام أو بالإحجام إلا بعد النظر ما يئول إليه ذلك الفعل.

حيث يكون العمل في الأصل مشروعًا لكن ينُهىٰ عنه لما يئول إليه من المفسدة، أو ممنوعًا لكن يترك النهي عنه لما في ذلك من المصلحة».

الدليل علىٰ صحة هذه القاعدة: الأدلة الشرعية، والاستقراء التام أن المآلات معتبرة في أصل المشروعية، كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام:١٠٨].

وهذا مما فيه اعتبار المآل علىٰ الجملة.

وأما في المسألة علىٰ الخصوص فكثير؛ فقد قال ﷺ في الحديث حين أشير عليه بقتل من ظهر نفاقه: «**أخاف أن يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه**»[٢].

---

(١) الموافقات للشاطبي (٤/ ١٩٥)، وانظر تهذيب الموافقات لمحمد الجيزاني (ص٣٤٣).

(٢) أخرجه البخاري (٣٥١٨).

وقوله: «لولا أن قومك حديث عهد بكفر لأسست البيت علىٰ قواعد إبراهيم»(١).

كيفية الاستفادة من هذه القاعدة في الواقع العراقي:

لاشك إن لهذه القاعدة ارتباط وثيق في النازلة العراقية، فنقول لمن أحرق أبناء السنة في قتال لا طائل منه: لمن ستئول نتيجة تضحياتكم؟

لصالح من يحترق السنة وتمتلئ الأرض بجثثهم وتمتلئ السجون بشبابهم وتنفذ أسلحتهم؟

هذه الأسئلة كانت غير مقبولة إطلاقًا قبل سنوات، ولكن الواقع الآن خير شاهد علىٰ ما آلت إليه الأمور؛ فلا هم للعدو طردوا، ولا هم لرأس المال حافظوا، وإنما قتل وتشريد، وانتهىٰ الأمر أنه بدأ يقتل بعضهم بعضًا، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وكذلك القيام بقتل من يشك في تعامله مع المحتل من أبناء العشائر خصوصًا، مع عدم التثبت في ذلك علىٰ الغالب، ودون التميز بين مجرد التعامل الدنيوي المحض كمثل عقد الصفقات لبناء المؤسسات الخدمية وغيرها، وبين التجسس للأعداء علىٰ عورات المسلمين.

أقول: عدم ملاحظة هذه القاعدة أدىٰ بالنهاية إلىٰ مآلات مأساوية بحيث تكوَّنت ردود فعل عشائرية كبيرة، كانت نتيجتها الاتفاق مع المحتل للقضاء علىٰ هذه الجماعات.

٢- سد الذرائع:

ومعناها كما قال ابن القيم: «اَلذَّرِيعَةُ: مَا كَانَ وَسِيلَةً وَطَرِيقًا إِلَىٰ الشَّيْءِ»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري نحوه (١٥٨٤).

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين (ج ٣/ ص٣٤٣).

وهذه القاعدة من أكثر القواعد المرتبطة بفقه الفتن؛ ذلك أن الشريعة تسعىٰ من خلال مسالكها ومجالاتها إلىٰ القضاء علىٰ بوادر الفتن وبداياتها، وتربي أبناءها علىٰ ترك السعي والقصد إليها، وحسم الوسائل والأسباب المفضية إليها، حتىٰ إنهم يتركون ما لا بأس به من الأقوال والأفعال والتصرفات، وما فيه من المنافع خشية الوقوع فيما يحذرون من المخاطر والبلايا؛ لأنهم يعرفون أن ما يفضي إلىٰ الفساد لا يشرع إلا إذا كانت فيه مصلحة راجحة، أما إذا كانت مفسدته راجحة فإنه يترك، وإن كان مشروعًا في نفسه.

وهي أنواع، وليس القصد في هذه الرسالة استيفائها ولكن الإشارة إليها؛ ليتبين أهمية هذه القاعدة في قطع السبل التي تؤدي إلىٰ المحرم.

وذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أدلة وأنواع وتطبيقات هذه القاعدة في إعلام الموقعين (ج٣/ ص٣٤٥) فلتُراجع.

ومن أدلتها: قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍۗ﴾ [الأنعام:١٠٨].

فَحَرَّمَ الله تَعَالَىٰ سَبَّ آلِهَةِ الْمُشْرِكِينَ -مَعَ كَوْنِ السَّبِّ غَيْظًا وَحَمِيَّةً لِلَّهِ وَإِهَانَةً لِآلِهَتِهِمْ-؛ لِكَوْنِهِ ذَرِيعَةً إِلَىٰ سَبِّهِمْ الله تَعَالَىٰ، وَكَانَتْ مَصْلَحَةُ تَرْكِ مَسَبَّتِهِ تَعَالَىٰ أَرْجَحَ مِنْ مَصْلَحَةِ سَبِّنَا لِآلِهَتِهِمْ، وَهَذَا كَالتَّنْبِيهِ بَلْ كَالتَّصْرِيحِ عَلَىٰ الْمَنْعِ مِنْ الْجَائِزِ لِئَلَّا يَكُونَ سَبَبًا فِي فِعْلِ مَا لَا يَجُوزُ.

ثم ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أقسام سد الذرائع فقال: «الْفِعْلُ، أَوْ الْقَوْلُ الْمُفْضِي إِلَىٰ الْمَفْسَدَةِ قِسْمَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ وَضْعُهُ لِلْإِفْضَاءِ إِلَيْهَا كَشُرْبِ الْمُسْكِرِ الْمُفْضِي إِلَىٰ مَفْسَدَةِ السُّكْرِ، وَكَالْقَذْفِ الْمُفْضِي إِلَىٰ مَفْسَدَةِ الْفِرْيَةِ.

وَالثَّانِي: أَنْ تَكُونَ مَوْضُوعَةً لِلْإِفْضَاءِ إِلَىٰ أَمْرٍ جَائِزٍ أَوْ مُسْتَحَبٍّ، فَيُتَّخَذَ وَسِيلَةً إِلَىٰ الْمُحَرَّمِ إِمَّا بِقَصْدِهِ أَوْ بِغَيْرِ قَصْدٍ مِنْهُ؛ فَالْأَوَّلُ كَمَنْ يَعْقِدُ النِّكَاحَ قَاصِدًا بِهِ التَّحْلِيلَ، أَوْ يَعْقِدُ الْبَيْعَ قَاصِدًا بِهِ الرِّبَا، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَالثَّانِي كَمَنْ يُصَلِّي تَطَوُّعًا بِغَيْرِ سَبَبٍ فِي أَوْقَاتِ النَّهْيِ، أَوْ يَسُبُّ أَرْبَابَ الْمُشْرِكِينَ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، أَوْ يُصَلِّي بَيْنَ يَدَيْ الْقَبْرِ لِلَّهِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ»(١).

ثُمَّ هَذَا الْقِسْمُ مِنْ الذَّرَائِعِ نَوْعَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنْ تَكُونَ مَصْلَحَةُ الْفِعْلِ أَرْجَحَ مِنْ مَفْسَدَتِهِ.

وَالثَّانِي: أَنْ تَكُونَ مَفْسَدَتُهُ رَاجِحَةً عَلَىٰ مَصْلَحَتِهِ.

فَهَاهُنَا أَرْبَعَةُ أَقْسَامٍ:

الْأَوَّلُ: وَسِيلَةٌ مَوْضُوعَةٌ لِلْإِفْضَاءِ إِلَىٰ الْمَفْسَدَةِ.

الثَّانِي: وَسِيلَةٌ مَوْضُوعَةٌ لِلْمُبَاحِ قُصِدَ بِهَا التَّوَسُّلُ إِلَىٰ الْمَفْسَدَةِ.

الثَّالِثُ: وَسِيلَةٌ مَوْضُوعَةٌ لِلْمُبَاحِ لَمْ يُقْصَدْ بِهَا التَّوَسُّلُ إِلَىٰ الْمَفْسَدَةِ، لَكِنَّهَا مُفْضِيَةٌ إِلَيْهَا غَالِبًا، وَمَفْسَدَتُهَا أَرْجَحُ مِنْ مَصْلَحَتِهَا.

الرَّابِعُ: وَسِيلَةٌ مَوْضُوعَةٌ لِلْمُبَاحِ، وَقَدْ تُفْضِي إِلَىٰ الْمَفْسَدَةِ، وَمَصْلَحَتُهَا أَرْجَحُ مِنْ مَفْسَدَتِهَا(٢).

كيفية الاستفادة من هذه القاعدة في الواقع العراقي:

أقول: إذا كان العدو بكل ما يحمله من حقد علىٰ الإسلام وشره مستطير ويتحين الفرص والذرائع حتىٰ يؤذي المسلمين في أنفسهم وبيوتهم، فمن الفقه ألا

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين (ج ٣/ ص٣٤٣).

(٢) انظر إعلام الموقعين عن رب العالمين (ج ٣/ ص٣٤٤).

نعطيه الذريعة ليقوم بذلك.

والأمر في غاية الوضوح؛ فضربه في وسط العوائل والمساكن والمستشفيات سيعطيه الذريعة لقتل أكبر عدد ممكن من المسلمين، وإن من الوسائل التي يجب منعها لسد ذريعة التعرض للنساء هو قيام بعض النساء المحجبات المغرر بهن من تفجير أنفسهن عند نقاط التفتيش، مما يعطي ذريعة للعدو من تفتيش النساء المحجبات خاصة، والاطلاع علىٰ عوراتهن ومضايقتهن.

٣- درء المفاسد مقدم علىٰ جلب المنافع:

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)]: «وكذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يجب علىٰ كل أحد بعينه، بل هو علىٰ الكفاية كما دل عليه القرآن، ولما كان الجهاد من تمام ذلك كان الجهاد أيضًا كذلك؛ فإذا لم يقم به من يقوم بواجبه أثم كل قادر بحسب قدرته؛ إذ هو واجب علىٰ كل إنسان بحسب قدرته، كما قال النبي: «**من رأىٰ منكم منكرًا فليغيره بيده؛ فإن لم يستطع فبلسانه؛ فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**».

وإذا كان كذلك: فمعلوم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإتمامه بالجهاد هو من أعظم المعروف الذي أمرنا به، ولهذا قيل: ليكن أمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر غير منكر، وإذا كان هو من أعظم الواجبات والمستحبات، فالواجبات والمستحبات لابد أن تكون المصلحة فيها راجحة علىٰ المفسدة؛ إذ بهذا بعثت الرسل، ونزلت الكتب، والله لا يحب الفساد، بل كل ما أمر الله به فهو صلاح.

وقد أثنىٰ الله علىٰ الصلاح والمصلحين والذين آمنوا وعملوا الصالحات،

---

(١) مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٨/ ١٢٦).

وذم المفسدين في غير موضع؛ فحيث كانت مفسدة الأمر والنهي أعظم من مصلحته لم تكن مما أمر الله به، وإن كان قد ترك واجبًا وفعل محرمًا؛ إذ المؤمن عليه أن يتقىٰ الله في عباده وليس عليه هداهم».

٤- درء المفاسد المجمع علىٰ تركها مقدم علىٰ درء المفسدة المختلف فيها[1]:

وهذه القاعدة فرع من التي قبلها؛ إِذَا اجْتَمَعَتْ الْمَفَاسِدُ الْمَحْضَةُ فَإِنْ أَمْكَنَ دَرْؤُهَا دَرَأْنَا، وَإِنْ تَعَذَّرَ دَرْءُ الْجَمِيعِ دَرَأْنَا الْأَفْسَدَ فَالْأَفْسَدَ، وَالْأَرْذَلَ فَالْأَرْذَلَ، فَإِنْ تَسَاوَتْ فَقَدْ يَتَوَقَّفُ وَقَدْ يَتَخَيَّرُ وَقَدْ يَخْتَلِفُ فِي التَّسَاوِي وَالتَّفَاوُتِ، وَلَا فَرْقَ فِي ذَلِكَ بَيْنَ مَفَاسِدِ الْمُحَرَّمَاتِ وَالْمَكْرُوهَاتِ، وَلِاجْتِمَاعِ الْمَفَاسِدِ أَمْثِلَةٌ:

أَحَدُهَا: أَنْ يُكْرَهَ عَلَىٰ قَتْلِ مُسْلِمٍ بِحَيْثُ لَوْ امْتَنَعَ مِنْهُ قُتِلَ، فَيَلْزَمُهُ أَنْ يَدْرَأَ مَفْسَدَةَ الْقَتْلِ بِالصَّبْرِ عَلَىٰ الْقَتْلِ، لِأَنَّ صَبْرَهُ عَلَىٰ الْقَتْلِ أَقَلُّ مَفْسَدَةً مِنْ إقْدَامِهِ عَلَيْهِ، وَإِنْ قَدَرَ عَلَىٰ دَفْعِ الْمَكْرُوهِ بِسَبَبٍ مِنْ الْأَسْبَابِ لَزِمَهُ ذَلِكَ لِقُدْرَتِهِ عَلَىٰ دَرْءِ الْمَفْسَدَةِ، وَإِنَّمَا قُدِّمَ دَرْءُ الْقَتْلِ بِالصَّبْرِ لِإِجْمَاعِ الْعُلَمَاءِ عَلَىٰ تَحْرِيمِ الْقَتْلِ، وَاخْتِلَافِهِمْ فِي الِاسْتِسْلَامِ لِلْقَتْلِ، فَوَجَبَ تَقْدِيمُ دَرْءِ الْمَفْسَدَةِ الْمجمْعِ عَلَىٰ وُجُوبِ دَرْئِهَا، عَلَىٰ دَرْءِ الْمَفْسَدَةِ الْمُخْتَلَفِ فِي وُجُوبِ دَرْئِهَا[2].

٥- دفع أعلي المفسدتين باحتمال أدناهما:

قال شيخ الإسلام: «والذي ينهىٰ عن ذلك لئلَّا يقع ظلم قليل لو قبل الناس

---

(١) انظر قواعد الأحكام (١/ ٩٣)، وتفسير القرطبي (١٠/ ١٨٣).

(٢) انظر قواعد الأحكام في مصالح الأنام (ج ١/ ص ١٣٩).

منه تضاعف الظلم والفساد عليهم، فهو بمنزلة من كانوا في طريق وخرج عليهم قطاع الطريق، فإن لم يرضوهم ببعض المال أخذوا أموالهم وقتلوهم، فمن قال لتلك القافلة: لا يحل لكم أن تعطوا لهؤلاء شيئًا من الأموال التي معكم للناس. فإنه يقصد بهذا حفظ ذلك القليل الذي ينهىٰ عن دفعه، ولكن لو عملوا بما قال لهم ذهب القليل والكثير وسلبوا مع ذلك، فهذا مما لا يشير به عاقل فضلًا أن تأتىٰ به الشرائع؛ فإن الله تعالىٰ بعث الرسل لتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها بحسب الإمكان»[1].

وهذه القاعدة تنطبق تمامًا علىٰ بعض صور الواقع العراقي؛ حيث جاء هؤلاء اللصوص بقوة لا قِبَلَ للعراقيين بها، وهذا واقع، الاعتراف به ليس عيبًا، وكذلك الاستضعاف ليس عيبًا؛ فالأنبياء عاشوا مرحلة الاستضعاف، لكن لما صدقوا الله نصرهم الله علىٰ الأعداء!

فإما يترك هؤلاء اللصوص ما تركوا المسلمين يأخذوا بعض المال، أو يتصدىٰ لهم بغير قوة علىٰ دفع أذاهم فيقتلون ويأخذون المال، فتقع بذلك مفسدتان ذهاب النفس والمال.

وتأمل حكم شيخ الإسلام المبني علىٰ مقاصد الشريعة في حفظ النفس، والمبني علىٰ قاعدة: ما كان أعظم حرمة كان أولىٰ بالحرمة.

فهل يا ترىٰ إن شيخ الإسلام لا يحفظ نصوص جهاد الدفع كمثل قوله تعالىٰ: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:١٩٤].

---

(١) مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٨/ ١٢٦).

وكمثل قول الرسول ﷺ كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي؟

قال: «**فلا تعطه مالك**».

قال: أرأيت إن قاتلني؟

قال: «**قاتله**».

قال: أرأيت إن قتلني؟

قال: «**فأنت شهيد**».

قال: أرأيت إن قتلته؟

قال: «**هو في النار**»[١].

مما لاشك فيه: أن هذه النصوص وأمثالها لم تغب عن شيخ الإسلام، ولكن هنا يتضح لك الفرق بين قول الفقيه الذي يحفظ النصوص مع معرفته بمقاصد الشريعة مع استعمال القواعد والضوابط الفقهية من أجل تحقيق مناط هذه النصوص علىٰ الواقع المعين.

وبين من اكتفىٰ بحفظ النصوص التي لا يعجز عن حفظها أحد، ثم ظن بنفسه أصبح فقيهًا يفتي في النوازل الكبيرة، فأوقع عباد الله في حرج.

٦- ما يقضي إلىٰ الضرر في ثاني الحال يجب المنع منه في أوله:

وهذه القاعدة بمعنىٰ القاعدة الأولىٰ.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «ومن هذا الباب إقرار النبي ﷺ لعبد الله بن أُبي وأمثاله من أئمة النفاق والفجور؛ لما لهم من أعوان؛ فإزالة منكره بنوع مستلزمة

---

(١) رواه مسلم والنسائي، انظر صحيح الترغيب والترهيب (ج ٢/ ص ٧٦).

إزالة معروف أكثر من ذلك بغضب قومه وحميتهم، وبنفور الناس إذا سمعوا أن محمدًا يقتل صحابته، ولهذا لما خاطب الناس في قصة الإفك بما خاطبهم به واعتذر منه وقال له سعد بن معاذ قوله الذي أحسن فيه: حمي له سعد بن عبادة مع حسن إيمانه»[١].

كيفية الاستفادة من هذه القاعدة:

نقول لمن يقتل أبناء العشائر وعلىٰ أبسط الأسباب وأقل الشبه: أين أنتم من سياسة النبيﷺ الشرعية «حتىٰ لا يقال إن محمدًا يقتل أصحابه»؟

وأين الأخذ بنظر الاعتبار الحمية العشائرية الغالبة علىٰ أغلب عشائر المجتمع العشائري العراقي؟

وفعلًا هذا هو الذي وقع وخير مثال علىٰ ذلك تكوين ما يسمىٰ (بجيش الصحوة) من أجل قتال هذه الجماعات التي دخلت بِاسم الجهاد، ولكن بغير فهم ولا ضوابط فكانت هذه النتيجة يقتل بعضهم بعضًا، والله المستعان.

٧- المصلحة العامة مقدمة علىٰ المصلحة الخاصة[٢]:

قال الشيخ صالح الفوزان في شرح كتاب كشف الشبهات عند شرحه لأثر ابن عباس في صحيح البخاري أن الأصنام عُملت بغرض تذكر الصالحين ثم تطور الأمر إلىٰ عبادتها قال: «وهؤلاء نظروا إلىٰ مصلحة جزئية، وهي عبادة الله عند رؤية الصالحين، ولم ينتبهوا لما يترتب عليها من المفاسد العظيمة التي تترتب عليها في المستقبل».

---

(١) انظر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لشيخ الإسلام (ص١٢).

(٢) انظر تفسير القرطبي (٢ / ٢٤٦).

كيفية الاستفادة من هذه القاعدة في الواقع العراقي:

إن المسلم الفقيه لا يقدِّم مصلحة الأفراد وإن كانت هذه المصالح سامية عظيمة القدر رفيعة الدرجة، كالشهادة في سبيل الله.

كما حصل لبعض الشباب وخصوصًا الذين أتوا من خارج الحدود وبعضهم عنده رغبة كبيرة للحصول على الشهادة على أيدي الكفار، نقول: إذا كانت هذه المصلحة لا تتأتى لك إلا بمفسدة عامة فالواجب أن تمتنع مراعاة للمصلحة العامة.

٨- عدم الحكم على الشيء قبل تصوره:

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَلَا يَتَمَكَّنُ الْمُفْتِي وَلَا الْحَاكِمُ مِنَ الْفَتْوَىٰ وَالْحُكْمِ بِالْحَقِّ إِلَّا بِنَوْعَيْنِ مِنَ الْفَهْمِ: أَحَدُهُمَا: فَهْمُ الْوَاقِعِ وَالْفِقْهِ فِيهِ، وَاسْتِنْبَاطُ عِلْمِ حَقِيقَةِ مَا وَقَعَ بِالْقَرَائِنِ وَالْأَمَارَاتِ، وَالْعَلَامَاتِ حَتَّىٰ يُحِيطَ بِهِ عِلْمًا.

وَالنَّوْعُ الثَّانِي: فَهْمُ الْوَاجِبِ فِي الْوَاقِعِ، وَهُوَ فَهْمُ حُكْمِ الله الَّذِي حَكَمَ بِهِ فِي كِتَابِهِ أَوْ عَلَىٰ لِسَانِ قَوْلِهِ فِي هَذَا الْوَاقِعِ، ثُمَّ يُطَبِّقُ أَحَدُهُمَا عَلَىٰ الْآخَرِ؛ فَمَنْ بَذَلَ جَهْدَهُ وَاسْتَفْرَغَ وُسْعَهُ فِي ذَلِكَ لَمْ يَعْدَمْ أَجْرَيْنِ أَوْ أَجْرًا؛ فَالْعَالِمُ مَنْ يَتَوَصَّلُ بِمَعْرِفَةِ الْوَاقِعِ وَالتَّفَقُّهِ فِيهِ إِلَىٰ مَعْرِفَةِ حُكْمِ الله وَرَسُولِهِ»[1]. انتهىٰ.

كيفية الاستفادة من هذه القاعدة في الواقع العراقي:

هذه القاعدة في غاية الأهمية خصوصًا للذي يعيش خارج البلاد؛ فلابد أن يتصور الساحة العراقية بدقة قبل أن يقدم على الفعل أو القول.

(١) انظر كتاب إعلام الموقعين عن رب العالمين (ج ١/ ص١١٣).

فإذا برزت الفتن وتغيرت الأحوال فلا نحكم علىٰ شيء من تلك الفتن أو الأحوال إلا بعد تصوره؛ مراعاة للقاعدة الفقهية المهمة وخصوصًا في النوازل، (الحكم علىٰ الشيء فرع من تصوره)؛ فإن كثيرًا من المتحمسين للكلام في النوازل والفتن لا يتصور القضية التي يتكلم فيها بدقة، وإنما يستحضر كلام العلماء في حوادث أخرىٰ لها ظروف خاصة بها، وإن تشابهت في بعض الصور، وكثيرًا ما كنا نسمع لماذا أفتىٰ العلماء بالقضية الفلانية بكذا، ولم يفتوا بهذه القضية بنفس الفتوىٰ.

وهذا من التلبيس علىٰ الناس وعدم استعما ل الضوابط والقواعد علىٰ الوجه الصحيح.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إِذَا كَانَ السُّؤَالُ مُحْتَمِلًا لِصُوَرٍ عَدِيدَةٍ؛ فَإِنْ لَمْ يَعْلَمْ الْمُفْتِي الصُّورَةَ الْمَسْئُولَ عَنْهَا لَمْ يُجِبْ عَنْ صُورَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْهَا، وَإِنْ عَلِمَ الصُّورَةَ الْمَسْئُولَ عَنْهَا فَلَهُ أَنْ يَخُصَّهَا بِالْجَوَابِ، وَلَكِنْ يُقَيِّدُ لِئَلَّا يُتَوَهَّمَ أَنَّ الْجَوَابَ عَنْ غَيْرِهَا فَيَقُولَ: إنْ كَانَ الْأَمْرُ كَيْتَ وَكَيْتَ، أَوْ كَانَ الْمَسْئُولُ عَنْهُ كَذَا وَكَذَا؛ فَالْجَوَابُ كَذَا وَكَذَا، وَلَهُ أَنْ يُفْرِدَ كُلَّ صُورَةٍ بِجَوَابٍ؛ فَيُفَصِّلُ الْأَقْسَامَ الْمُحْتَمَلَةَ، وَيَذْكُرُ حُكْمَ كُلِّ قِسْمٍ»(١).

قال ابن سعدي: «جميع المسائل التي تحدث في كل وقت وسواء حدثت أجناسها أو أفرادها يجب أن تتصور قبل كل شيء، فإذا عُرفت حقيقتها، وشخصت صفاتها، وتصورها الإنسان تصورًا تامًّا بذاتها ومقدماتها ونتائجها، طُبقت علىٰ نصوص الشرع وأصوله الكلية؛ فإن الشرع يحل جميع المشكلات: مشكلات الجماعات والأفراد، ويحل المسائل الكلية والجزئية، يحلها حلًّا مرضيًّا للعقول

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين (ج ٥/ ص١٣٧).

الصحيحة، والفطر السليمة، ويشترط أن ينظر فيه البصير من جميع نواحيه الواقعية والشرعية»[١].

وهنا يحسن بنا التنبيه أن الواقع بدقة لا يمكن أن تتصوره من خلال الصحف والإعلام بكل أنواعه، بل لابد من معايشة هذا الواقع عن قرب، أو بنقل الثقات الذين يعيشون هذا الواقع؛ فلذلك كانت بعض فتاوىٰ من اعتمد علىٰ الإعلام أو ما تسمىٰ بالقنوات الفضائية بعيدة كل البعد عن الواقع، وبالتالي فإن هذه الفتاوىٰ جانبت الحق، وأضرت وما نفعت، والله المستعان.

فلذلك أدعو كل من عنده غيرة علىٰ الإسلام والمسلمين ألا يتعجل في إصدار الفتوىٰ التي يظن أنه سينفع بها إخوانه المستضعفين وإذا به يضرهم، والساحة العراقية خير مثال، والسعيد من أتعظ بغيره.

قال -عليه الصلاة والسلام-: [**«لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين»**][٢].

٩- يجب علىٰ المفتي الحذر وخصوصًا في زمن الفتن:

لأن الكثير من أهل الهوىٰ يطمع من المفتي بكلام يكون تأيدًا لهواه وما يذهب إليه؛ لذلك كانت بعض الإطلاقات من قبل أهل العلم اسُتغلت من قبل أهل الأهواء لتأيد ما هم عليه من بدع وضلال، وأحيانًا يفتي المستفتىٰ حسب ما يصوره المستفتي، ولكنه وإن كان معذورًا لكن يجب أن يكون حذرًا من إمكانية وقوع هذه الصورة المسئول عنها علىٰ أرض الواقع.

ومثال ذلك: قول القائل في نازلة العراق للعالم الفلاني: نحن في العراق

---

(١) انظر في كتاب الفتاوىٰ السعدية (١٩٠- ١٩١).

(٢) صحيح، انظر السلسلة الصحيحة - مختصرة (ج ٣/ ص ١٦٩) رقم (١١٧٥).

أصبح المحتل قاب قوسين أو أدنىٰ من إعلان الهزيمة، ونحن عندنا القوة الكبيرة التي لا يستطيع المحتل أن يفعل شيئًا، وأن جميع العراقيين متفقين علىٰ القتال، وأن المصالح أضعاف أضعاف المفاسد وإلىٰ غير ذلك، فوجب علىٰ المفتي أن ينظر في هذه الصورة النظرية هل هي مطابقة للواقع أم لا؟

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «[يَنْبَغِي لِلْمُفْتِي أَنْ يَكُونَ حَذِرًا]، وَبِالْجُمْلَةِ فَلْيَكُنْ حَذِرًا فَطِنًا، وَلَا يُحْسِنُ ظَنَّهُ بِكُلِّ أَحَدٍ، وَهَذَا الَّذِي حَمَلَ بَعْضَ الْمُفْتِينَ عَلَىٰ أَنَّهُ كَانَ يُقَيِّدُ السُّؤَالَ عِنْدَهُ فِي وَرَقَةٍ ثُمَّ يُجِيبُ فِي وَرَقَةِ السَّائِلِ، وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَكْتُبُ السُّؤَالَ فِي وَرَقَةٍ مِنْ عِنْدِهِ ثُمَّ يَكْتُبُ الْجَوَابَ، وَلَيْسَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ بِلَازِمٍ، وَالِاعْتِمَادُ عَلَىٰ قَرَائِنِ الْأَحْوَالِ وَمَعْرِفَةِ الْوَاقِعِ وَالْعَادَةِ»[١].

١١- ليس كل ما يعلم يقال أو يعمل به، [وليس كل ما يعلم أو يقال حان آوانه][٢]؛ فأنه يجوز ترك بعض الأعمال في زمن الفتن؛ لذلك كان عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ مَهْدِيٍّ يَقُولُ: «لَا يَكُونُ الرَّجُلُ إِمَامًا يُقْتَدَىٰ بِهِ حَتَّىٰ يُمْسِكَ عَنْ بَعْضِ مَا سَمِعَ»[٣].

وفي الأثر أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ قَالَ: «مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً»[٤].

وكذلك حديث أبي هريرة: «حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين من العلم: أما أحدهما فبثثته، وأما الآخر فلو بثثته لقطع هذا الحلقوم»[٥].

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين (ج ٥/ ص ١٣٨).
(٢) أضافها الشيخ صالح السحيمي -وفقه الله-.
(٣) صحيح مسلم (ج ١/ ص١٩).
(٤) صحيح مسلم (ج ١/ ص٢١).
(٥) رواه البخاري رقم (١٢٠).

١٠- الضرر لا يزال بالضرر:

إن من قواعد الإسلام المعلومة: أن الضرر يزال، ولكن لا يزال بضرر مثله، ولا بأشد منه من باب أولىٰ.

قال شيخ الإسلام: «وقد أمرنا الله سبحانه أن نزيل الشر بالخير بحسب الإمكان، ونزيل الكفر بالإيمان، والبدعة بالسنة، والمعصية بالطاعة»[١].

١١- أن التكاليف الشرعية لا تلزم الإنسان إلا بالاستطاعة والقدرة:

قال تعالىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦].

وقال -عليه الصلاة والسلام-: «**فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم**».

ذكر شيخ الإسلام في المجموع هذه القاعدة بألفاظ متعددة منها: (التكليف مشروط بالقدرة) (١٩/ ١٢٤)، (الأمر مشروط بالقدرة) (١٩/ ١٢٩)، (الوجوب مشروط بالقدرة) (١٩/ ٢٢٧)[٢].

والناظر للقضية العراقية وما تفرع عنها من فتن أدت في النهاية أن يقتل الرجل أبناء عشيرته، بل ويقتل من كان يصلي معه في مسجد واحد، بل يقتل أخاه الذي من أمه وأبيه، حيث تفرق الناس تفرقًا عظيمًا؛ حيث رأينا كيف أن الأخ يحمل السلاح ليقتل شقيقه وابن عمه؛ تعصبًا لجماعته وحزبه والله المستعان.

ليدرك أن جميع من تكلم في النازلة العراقية ودفع الناس إلىٰ القتال بكل أنواعه[٣] سواء في أصل الإفتاء في جهاد المحتل دون النظر إلىٰ الضوابط الشرعية،

---

(١) مجموع الفتاوىٰ لشيخ الإسلام ابن تيمية (٨/ ٥٤٧).

(٢) انظر فقه الدعوة عند شيخ الإسلام الثبيتي.

(٣) المقصود بقولي: بكل أنواعه؛ لأن القتال هناك منه ضد الاحتلال، ومنه ما بين العراقيين =

وعدم الأخذ بنظر الاعتبار ما تئول إليه الأمور علىٰ الظن الغالب، وعدم مراعاة المفاسد المعتبرة، وعدم النظر إلىٰ مصلحة الناس العامة، وتقديمها علىٰ المصلحة الخاصة، وعدم معرفة معنىٰ دفع أعظم المفسدتين بأقلهما؛ ليدرك أن المتكلم بهذه النازلة العظيمة إما جاهل بأصول وقواعد التعامل مع الفتن وكيفية تحقيق مناط النصوص سواء علىٰ الواقع أو علىٰ الذوات والأفراد، أو سيئ القصد صاحب هوىٰ، نسأل الله السلامة والعافية.

=

أنفسهم علىٰ مختلف اتجاهاتهم المنهجية والحزبية؛ لأنه في نهاية المطاف الكل إلا القليل قد اشترك بصورة مباشرة أو غير مباشرة في الخوض في دماء المسلمين.

الفصل الرابع: الأحكام الشرعية في بعض النوازل العراقية

إن من المعلوم أن النازلة الأصل التي هي الاحتلال تفرع منها نوازل كثيرة وعظيمة وشائكة، تستحق بل يستوجب علىٰ أهل العلم أن يفردوها بالبحث.

وهنا أحب أن أنبه علىٰ مسألتين في الدواعي التي جعلتني أنبه علىٰ هذه النوازل:

الأولىٰ: إن المتقرر عند طلبة العلم أن النوازل العظيمة لابد أن يتكلم بها العلماء الكبار؛ لذلك حاولت أن أنقل كلام العلماء فيها ولم أقرر حكمًا من تلقاء نفسي؛ لأني أقل من أن أتكلم في هذه المسائل الكبيرة.

الثانية: لم أقصد الإحاطة بجميع النوازل الجزئية الكثيرة في الساحة العراقية، بل أحببت أن أنبه إلىٰ هذه النوازل، فلعل أهل العلم الكبار يفردونها بالبحث.

ومن هذه النوازل:

١ - حكم الجهاد في العراق.

٢ - ظاهرة ضرب الكافر المتترس بالمسلمين في أوطانهم بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

٣- عمليات تفجير النفس بين صفوف الكفار كرد فعل لأفعالهم ضد المسلمين.

٤ - حكم إقامة الحدود في غياب السلطان [إقليميًّا أو عامًّا](١).

---

(١) أضافها الشيخ صالح السحيمي -وفقه الله-.

وسأحاول الاختصار ما استطعت على ذكر ما أعتقد أنه هو القول الراجح من كلام العلماء.

❊ ❊ ❊

أولاً: حكم الجهاد في العراق في الزمن الحاضر

قبل البدء في معرفة ما هو حكم الجهاد في العراق لابد من معرفة أمرين:

الأول: العلم بأحكام الجهاد وضوابطه وغايته.

ثانيًا: معرفة واقع العراق؛ لأن من الأصول المقررة عند أهل العلم: أن الحكم على الشيء فرع عن تصوره.

فأقول وبالله أستعين:

أولًا: تعريف الجهاد:

أصل مادة (جهد) المشقة والطاقة، وجهد الرجل فهو مجهود من المشقة والطاقة[1]، وجاهد يجاهد مجاهدة: إذا استفرغ وسعه وبذل طاقته وتحمل المشاق.

ولا يسمىٰ الجهاد جهادًا حقيقيًّا إلا إذا قصد به وجه الله، وأريد به إعلاء كلمته، ورفع راية الحق، ومطاردة الباطل؛ فمن قاتل ليحظىٰ بمنصب، أو يظفر بمغنم، أو يظهر شجاعة، أو ينال شهرة، فإنه لا نصيب له في الأجر.

فعن أبي موسىٰ قال: جاء رجل إلىٰ النبي ﷺ فقال: الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليرىٰ مكانه، فمن في سبيل الله ؟

فقال ﷺ: «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**» متفق عليه.

---

(١) انظر معجم مقاييس اللغة (١/ ٤٨٦).

ثانيًا: فضل الجهاد:

قال تعالىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ وَمَسَـٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الصف:١٠-١٣].

وفي الصحيح عن أبي هريرة أنه قال: جاء رجل إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: دلني علىٰ عمل يعدل الجهاد؟

قال: **«لا أجده، قال: هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر، وتصوم ولا تفطر؟»**.

قال: ومن يستطيع ذلك؟

قال أبو هريرة: إن فرس المجاهد ليستن في طوله فيكتب له حسنات[١].

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: **«انتدب الله ﷻ لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا إيمان بي وتصديق برسلي، أن أرجعه بما نال من أجر أو غنيمة، أو أدخله الجنة، ولولا أن أشق علىٰ أمتي ما قعدت خلف سرية، ولوددت أني أقتل في سبيل الله، ثم أحيا، ثم أقتل، ثم أحيا، ثم أقتل»**[٢].

قال -عليه الصلاة والسلام-: **«إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه**

(١) صحيح الترغيب والترهيب للألباني، باب الترغيب في الرباط في سبيل الله، وانظر صحيح النسائي للألباني.

(٢) صحيح، انظر حديث رقم (١٤٩١) في صحيح الجامع.

الفردوس الأعلىٰ»[١].

وقال -عليه الصلاة والسلام-: «مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم»[٢].

راجع في فضل الجهاد والمجاهدين والشهادة: كتاب صحيح الترغيب والترهيب، وكتاب رياض الصالحين، وكتب السنة وتفاسير القرآن الكريم.

ثالثًا: أنواع الجهاد[٣]:

الجهاد نوعان:

القسم الأول: جهاد الدفع، وهو فرض عين علىٰ المستطيع وهو دفع العدو إذا أراد حرب المسلمين في عقر دارهم.

القسم الثاني: جهاد الطلب، وهو فرض كفاية ويشرع عند القدرة وذلك لنشر الدين وفتح البلاد التي لم يدخلها الإسلام.

رابعًا: المراحل التي مر بها الجهاد:

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١- المرحلة الأولىٰ: النهي عن القتال: كَانَ الْجِهَادُ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ بِتَبْلِيغِ الْحُجَّةِ، وَأَمَرَهُ الله تَعَالَىٰ بِالْجِهَادِ مِنْ حِينِ بَعْثِهِ وَقَالَ: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان:٥١-٥٢].

---

(١) صحيح، انظر السلسلة الصحيحة - مختصرة (ج ٢/ ص٥٩٠) رقم (٩٢١).

(٢) رواه مسلم في كتاب الإمارة باب فضل الشهادة في سبيل الله.

(٣) انظر الوجيز في فقه السنة والكتاب العزيز، عبد العظيم بدوي.

فَهَذِهِ سُورَةٌ مَكيةٌ أَمَرَ فِيهَا بِجِهَادِ الْكُفَّارِ بِالْحُجَّةِ وَالْبَيَانِ وَتَبْلِيغِ الْقُرْآنِ، وَكَذَلِكَ جِهَادُ الْمُنَافِقِينَ إنما هُوَ بِتَبْلِيغِ الْحُجَّةِ وَإِلَّا فَهُمْ تَحْتَ قَهْرِ أَهْلِ الإِسْلَامِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [التوبة:٧٣].

فَجِهَادُ الْمُنَافِقِينَ أَصْعَبُ مِنْ جِهَادِ الْكُفَّارِ، وَهُوَ جِهَادُ خَوَاصِّ الأُمَّةِ وَوَرَثَةُ الرُّسُلِ، وَالْقَائِمُونَ بِهِ أَفْرَادٌ فِي الْعَالَمِ، وَالْمُشَارِكُونَ فِيهِ وَالْمُعَاوِنُونَ عَلَيْهِ وَإِنْ كَانُوا هُمْ الأَقَلِّينَ عَدَدًا فَهُمْ الأَعْظَمُونَ عِنْدَ الله قَدْرًا.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبينًا أهمية جهاد النفس:

لَمّا كَانَ جِهَادُ أَعْدَاءِ الله فِي الْخَارِجِ فَرْعًا عَلَىٰ جِهَادِ الْعَبْدِ نَفْسِهِ فِي طاعة الله؛ قَالَ النبي ﷺ: «**الْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ الله، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَىٰ الله عَنْهُ**».

كَانَ جِهَادُ النَّفْسِ مُقَدَّمًا عَلَىٰ جِهَادِ الْعَدُوِّ فِي الْخَارِجِ وَأَصْلًا لَهُ؛ فَإِنَّهُ مَا لَمْ يُجَاهِدْ نَفْسَهُ أَوّلًا لِتَفْعَلَ مَا أُمِرت بِهِ وَتَتْرُكَ مَا نُهِيت عَنْهُ، وَيُحَارِبُهَا فِي الله لَمْ يُمْكِنْهُ جِهَادُ عَدُوّهِ فِي الْخَارِجِ، فَكَيْفَ يُمْكِنُهُ جِهَادُ عَدُوِّهِ وَالِانْتِصَافُ مِنْهُ، وَعَدُوّهُ الّذِي بَيْنَ جَنْبَيْهِ قَاهِرٌ لَهُ مُتَسَلّطٌ عَلَيْهِ لَمْ يُجَاهِدْهُ وَلَمْ يُحَارِبْهُ فِي الله، بَلْ لَا يُمْكِنُهُ الْخُرُوجُ إلَىٰ عَدُوّهِ حَتّىٰ يُجَاهِدَ نَفْسَهُ عَلَىٰ الْخُرُوجِ[1].

٢- المرحلة الثانية: الإذن بالقتال:

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فَلَمَّا اسْتَقَرّ رَسُولُ الله ﷺ بِالْمَدِينَةِ، وَأَيّدَهُ الله بِنَصْرِهِ بِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الأَنْصَارِ، وَأَلّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ بَعْدَ الْعَدَاوَةِ وَالأَحْقَادِ الّتِي كَانَتْ

---

(١) انظر زاد المعاد (ج ٣/ ص٥).

بَيْنَهُمْ، فَمَنَعَتْهُ أَنْصَارُ الله وَكَتِيبَةُ الإِسْلَامِ مِنَ الأَسْوَدِ وَالأَحْمَرِ، وَبَذَلُوا نُفُوسَهُمْ دُونَهُ، وَقَدَّمُوا مَحَبَّتَهُ عَلَىٰ مَحَبَّةِ الآبَاءِ وَالأَبْنَاءِ وَالأَزْوَاجِ، وَكَانَ أَوْلَىٰ بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ: رَمَتْهُمُ الْعَرَبُ وَالْيَهُودُ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ، وَشَمَّرُوا لَهُمْ عَنْ سَاقِ الْعَدَاوَةِ وَالْمُحَارَبَةِ، وَصَاحُوا بِهِمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَالله سُبْحَانَهُ يَأْمُرُهُمْ بِالصَّبْرِ وَالْعَفْوِ وَالصَّفْحِ حَتَّىٰ قَوِيَتْ الشَّوْكَةُ؛ فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج:٣٩][١].

٣- المرحلة الثالثة: [فَرْضُ الْقِتَالِ]: ثُمَّ فَرَضَ عَلَيْهِمْ الْقِتَالَ بَعْدَ ذَلِكَ لِمَنْ قَاتَلَهُمْ دُونَ مَنْ لَمْ يُقَاتِلْهُمْ فَقَالَ: ﴿وَقَـٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٠].

ثُمَّ فَرَضَ عَلَيْهِمْ قِتَالَ الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً، وَكَانَ مُحَرَّمًا، ثُمَّ مَأْذُونًا بِهِ، ثُمَّ مَأْمُورًا بِهِ لِمَنْ بَدَأَهُمْ بِالْقِتَالِ، ثُمَّ مَأْمُورًا بِهِ لِجَمِيعِ الْمُشْرِكِينَ، إما فَرْضُ عَيْنٍ عَلَىٰ أَحَدِ الْقَوْلَيْنِ، أَوْ فَرْضُ كِفَايَةٍ عَلَىٰ الْمَشْهُورِ[٢].

رابعًا: شروط الجهاد:

إن القول بإنفاذ الجهاد يستوجب توفر عدة أمور هي:

أ- السبب الشرعي المبيح له.

ب- الشروط الشرعية المتطلبة لإنفاذه.

ج- انتفاء الموانع التي تمنع منه.

وغياب أي من هذه الأوصاف يمنع من إنفاذ الجهاد، ويخرجه من الوجوب،

---

(١) زاد المعاد (ج ٣/ ص ٦٢).

(٢) زاد المعاد (ج ٣/ ص٦٢).

وقد يدخله في عداد الممنوعات.

ولذلك بين أهل العلم عدة شروط لابد منها من أجل أن يكون الجهاد على الوجه الذي يريده الله، منها:

١- الاستعداد الإيماني:

وهو أعظم الأسباب لجلب النصر؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد:٧].

قال العلامة السعدي في التفسير: «هذا أمر منه تعالى للمؤمنين أن ينصروا الله بالقيام بدينه، والدعوة إليه، وجهاد أعدائه، والقصد بذلك وجه الله، فإنهم إذا فعلوا ذلك، نصرهم الله وثبت أقدامهم، أي: يربط على قلوبهم بالصبر والطمأنينة والثبات، ويصبر أجسامهم على ذلك، ويعينهم على أعدائهم.

فهذا وعد من كريم صادق الوعد، أن الذي ينصره بالأقوال والأفعال سينصره مولاه، وييسر له أسباب النصر، من الثبات وغيره.

وقال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ أي: أوجبنا ذلك على أنفسنا، وجعلناه من جملة الحقوق المتعينة ووعدناهم به فلابد من وقوعه»[١].

وقال شيخ الإسلام في حكم قتال التتار أول الأمر في كتابه الرد على البكري (٢/ ٦٣١): ولهذا كان أهل المعرفة بالدين والمكاشفة لم يقاتلوا في تلك المرة لعدم القتال الشرعي الذي أمر الله به ورسوله؛ ولما يحصل في ذلك من الشر والفساد وانتفاء النصرة المطلوبة في القتال؛ فلا يكون فيه ثواب الدنيا ولا ثواب الآخرة لمن عرف هذا وهذا، وإن كان كثير من المقاتلين الذين اعتقدوا هذا قتالًا

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي (ج ١/ ص٦٤٤).

شرعيًّا أجروا على نياتهم، فلما كان بعد ذلك جعلنا نأمر الناس بإخلاص الدين لله والاستغاثة به، وأنهم لا يستغيثون بملك مقرب ولا نبي مرسل كما قال تعالىٰ يوم بدر: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال:٩].

وقال: فلما أصلح الناس أمورهم وصدقوا في الاستغاثة بربهم نصرهم علىٰ عدوهم نصرًا عزيزًا.

٢- الاستعداد المادي:

قال تعالىٰ: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال:٦٠].

ولقد بيَّن الرسولﷺ معنىٰ القوة؛ فعن عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ وَهُوَ عَلَىٰ الْمِنْبَرِ يَقُولُ: «**وَأَعِدُّوا لَهُم مَا اسْتَطَعْتُم مِن قُوَّةٍ أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ**»(١).

فيجب علىٰ المسلمين: أن يبذلوا قصارىٰ جهدهم في سبيل الإعداد المادي من شراء، أو تصنيع الأسلحة محليًّا، وهذا هو الأفضل؛ لأن الأعداء لا يعطون أفضل ما يملكون، بل قد يكون العكس، وهو أن الأعداء لا يعطون من الأسلحة إلا ما أصبح غير مستخدمًا عندهم، أو ما يملكون مضادًّا له.

٣- القدرة:

القدرة لابد منها في جميع الواجبات الشرعية، والجهاد من الواجبات الشرعية، بل من أعظمها.

قال الشيخ العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ **في كتاب لقاء الباب المفتوح (٢/ ٤٢٠):** ... عن

(١) صحيح مسلم (ج ١٠/ ص ٣٢).

الجهاد إذا كان فرض عين أو فرض كفاية فلابد له من شروط من أهمها القدرة، فإن لم يكن لدى الإنسان قدرة فإنه لا يلقي بنفسه إلى التهلكة، وقد قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة:١٩٥].

وقال جوابًا على سؤال: ما رأيكم فيمن أراد الذهاب إلى البوسنة والهرسك مع التوضيح ؟ -من أشرطة الباب المفتوح-: أرى أنه في الوقت الحاضر لا يذهب إلى ذلك المكان؛ لأن الله ﷻ إنما شرع الجهاد مع القدرة، وفيما نعلم من الأخبار -والله أعلم- أن المسألة الآن فيها اشتباه من حيث القدرة، صحيح أنهم صمدوا ولكن لا ندري حتى الآن كيف يكون الحال، فإذا تبين الجهاد واتضح؛ حينئذ نقول اذهبوا[١].

وقال رحمه الله في شرح كتاب الجهاد في بلوغ المرام الشريط الأول: ولهذا لو قال لنا قائل: لماذا لا نحارب أمريكا وروسيا وفرنسا لماذا؟ لعدم القدرة.

وقال رحمه الله في شرح رياض الصالحين (٣/ ٣٧٥) أول كتاب الجهاد: فالقتال واجب، ولكنه كغيره من الواجبات لابد من القدرة، والأمة الإسلامية اليوم عاجزة ليس عندها قدرة معنوية ولا مادية؛ إذن يُسقط الوجوب عدم القدرة، فاتقوا الله ما استطعتم.

وقال رحمه الله في الباب المفتوح (٢/ ٣٦١): لكن الآن ليس بأيدي المسلمين ما يستطيعون به جهاد الكفار حتى ولا جهاد مدافعة .

قال الشيخ الفوزان[٢]: «الجهاد لا يكون إلا إذا توفرت ضوابطه وشروطه، أما مادامت ما توفرت شروطه ولا ضوابطه فليس هناك جهاد شرعي؛ لأنه يترتب

(١) شريط (رقم١٩).

(٢) كتاب الإجابات المهمة للشيخ صالح الفوزان.

عليه ضرر بالمسلمين أكثر من المصلحة الجزئية، هذا لا يجوز مادام لم يتوفر الجهاد بشروطه وبضوابطه، ومع قائد مسلم وراية مسلمة فلم يتحقق الجهاد، وإن كان قصد الإنسان حسنًا ويثاب علىٰ نيته لكن هو مخطئ في هذا».

وقال الشيخ الفوزان[١]: «إذا كان المسلمون تحت ولاية كافرة ولا يستطيعون إزالتها، فإنهم يتمسكون بإسلامهم وبعقيدتهم، ولكن لا يخاطرون بأنفسهم ويغامرون في مجابهة للكفار؛ لأن ذلك يعود عليهم بالإبادة والقضاء علىٰ الدعوة، أما إذا كانت لهم قوة يستطيعون بها الجهاد فإنهم يجاهدون وفق الضوابط الشرعية.

والقوة هي اليقينية، أما القوة المظنونة أو غير المتيقنة فإنه لا يجوز المخاطرة بالمسلمين والزج بهم في مخاطرات قد تؤدي بهم إلىٰ النهاية غير الحميدة».

وقال الشيخ العثيمين في نفس الكتاب السابق[٢]: «النبي ﷺ عاش في مكة ثلاث عشرة سنة بعد البعثة، والولاية فيها للكفار ومعه من أسلم من الصحابة ولم ينازلوا الكفار، بل كانوا منهيين عن قتال الكفار في هذه الحقبة، ولم يؤمروا بالقتال إلا بعد ما هاجر الرسول ﷺ وصار له دولة وجماعة يستطيع بهم أن يقاتل الكفار، هذا هو منهج الإسلام.

فإذا كان المسلمون تحت ولاية كافرة ولا يستطيعون إزالتها فإنهم يتمسكون بإسلامهم وبعقيدتهم، ولكن لا يخاطرون بأنفسهم ويغامرون في مجابهة الكفار؛ لأن ذلك يعود عليهم بالإبادة والقضاء علىٰ الدعوة».

خامسًا: مراتب الجهاد:

لقد قسم ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه القيم زاد المعاد الجهاد إلىٰ ثلاث عشرة

---

(١) مراجعات في فقه الواقع السياسي.

(٢) مراجعات في فقه الواقع السياسي.

مرتبة، وفي هذا التقسيم الرائع المستنبط من دلالة الكتاب والسنة بيان لمعنىٰ حديث الرسول ﷺ: «**من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات علىٰ شعبة من نفاق**»(١) الذي كان أدعياء الجهاد يرددونه دون النظر إلىٰ فقهه.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: إِذَا عُرِفَ هَذَا؛ فَالْجِهَادُ أَرْبَعُ مَرَاتِبَ: جِهَادُ النَّفْسِ، وَجِهَادُ الشَّيْطَانِ، وَجِهَادُ الْكُفَّارِ، وَجِهَادُ الْمُنَافِقِينَ، مَرَاتِبُ جِهَادِ النَّفْسِ...

ثم شرع ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ **في بيان مراتب جهاد النفس؛ فقال**: فَجِهَادُ النَّفْسِ أَرْبَعُ مَرَاتِبَ أَيْضًا:

إِحْدَاهَا: أَنْ يُجَاهِدَهَا عَلَىٰ تَعَلُّمِ الْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ الَّذِي لَا فَلَاحَ لَهَا وَلَا سَعَادَةَ فِي مَعَاشِهَا وَمَعَادِهَا إِلَّا بِهِ.

الثَّانِيَةُ: أَنْ يُجَاهِدَهَا عَلَىٰ الْعَمَلِ بِهِ بَعْدَ عِلْمِهِ، وَإِلَّا فَمُجَرَّدُ الْعِلْمِ بِلَا عَمَلٍ إِنْ لَمْ يَضُرَّهَا لَمْ يَنْفَعْهَا.

الثَّالِثَةُ: أَنْ يُجَاهِدَهَا عَلَىٰ الدَّعْوَةِ إِلَيْهِ وَتَعْلِيمِهِ مَنْ لَا يَعْلَمُهُ، وَإِلَّا كَانَ مِنْ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ الْهُدَىٰ وَالْبَيِّنَاتِ وَلَا يَنْفَعُهُ عِلْمُهُ وَلَا يُنْجِيهِ مِنْ عَذَابِ اللهِ.

الرَّابِعَةُ: أَنْ يُجَاهِدَهَا عَلَىٰ الصَّبْرِ عَلَىٰ مَشَاقِّ الدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللهِ وَأَذَىٰ الْخَلْقِ، وَيَتَحَمَّلُ ذَلِكَ كُلَّهُ لِلَّهِ.

فَإِذَا اسْتَكْمَلَ هَذِهِ الْمَرَاتِبَ الْأَرْبَعَ صَارَ مِنْ الرَّبَّانِيِّينَ؛ فَإِنَّ السَّلَفَ مُجْمِعُونَ عَلَىٰ أَنَّ الْعَالِمَ لَا يَسْتَحِقُّ أَنْ يُسَمَّىٰ رَبَّانِيًّا حَتَّىٰ يَعْرِفَ الْحَقَّ، وَيَعْمَلَ بِهِ، وَيُعَلِّمَهُ؛ فَمَنْ عَلِمَ وَعَمِلَ وَعَلَّمَ فَذَاكَ يُدْعَىٰ عَظِيمًا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ.

ثم قسم ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ **مراتب جهاد الشيطان فقال**: مَرَاتِبُ جِهَادِ الشَّيْطَانِ:

---

(١) سنن أبي داود (رقم ٢٥٠٢)، وصححه الألباني.

أما مراتب جهاد الشَّيْطَانِ فَمَرْتَبَتَانِ:

إِحْدَاهُمَا: جِهَادُهُ عَلَىٰ دَفْعِ مَا يُلْقِي إِلَىٰ الْعَبْدِ مِنْ الشُّبُهَاتِ وَالشُّكُوكِ الْقَادِحَةِ فِي الْإِيمَانِ.

الثَّانِيَةُ: جِهَادُهُ عَلَىٰ دَفْعِ مَا يُلْقِي إِلَيْهِ مِنْ الْإِرَادَاتِ الْفَاسِدَةِ وَالشَّهَوَاتِ.

فَالْجِهَادُ الْأَوَّلُ يَكُونُ بَعْدَهُ الْيَقِينُ، وَالثَّانِي يَكُونُ بَعْدَهُ الصَّبْرُ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة:٢٤].

فَأَخْبَرَ أَنَّ إِمَامَةَ الدِّينِ إِنَّمَا تُنَالُ بِالصَّبْرِ وَالْيَقِينِ؛ فَالصَّبْرُ يَدْفَعُ الشَّهَوَاتِ وَالْإِرَادَاتِ الْفَاسِدَةَ، وَالْيَقِينُ يَدْفَعُ الشُّكُوكَ وَالشُّبُهَاتِ.

ثم قَسَّم رَحِمَهُ اللَّهُ جِهادَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ إلىٰ أربع مراتب، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: وَأَمَّا جِهَادُ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ فَأَرْبَعُ مَرَاتِبَ: بِالْقَلْبِ، وَاللِّسَانِ، وَالْمَالِ، وَالنَّفْسِ.

وَجِهَادُ الْكُفَّارِ أَخُصّ بِالْيَدِ، وَجِهَادُ الْمُنَافِقِينَ أَخُصّ بِاللِّسَانِ.

ثم بين رَحِمَهُ اللَّهُ مراتب جهاد أهل الظلم والبغي والمنكرات فقال: وَأَمَّا جِهَادُ أَرْبَابِ الظُّلْمِ وَالْبِدَعِ وَالْمُنْكَرَاتِ فَثَلَاثُ مَرَاتِبَ: الْأُولَىٰ: بِالْيَدِ إذَا قَدَرَ، فَإِنْ عَجَزَ انْتَقَلَ إلَىٰ اللِّسَانِ، فَإِنْ عَجَزَ جَاهَدَ بِقَلْبِهِ.

فَهَذِهِ ثَلَاثَ عَشَرَةَ مُرَتَبَةً مِنْ الْجِهَادِ، ومَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِالْغَزْوِ مَاتَ عَلَىٰ شُعْبَةٍ مِنْ النِّفَاقِ[(١)].

خامسًا: غاية الجهاد:

بيَّن الله تعالىٰ المقصود من الجهاد وهو القتال في سبيله، وأنه ليس المقصود

(١) انظر زاد المعاد (ج ٣/ ص ٥-١١).

به سفك دماء الكفار، وأخذ أموالهم، ولكن المقصود به أن يكون الدِّينُ لِلَّهِ؛ قال تعالىٰ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة:١٩٣]. فيظهر دين الله [تعالىٰ] علىٰ سائر الأديان، ويدفع كل ما يعارضه من الشرك وغيره، وهو المراد بالفتنة[١].

سادسًا: الفرق بين الجهاد والإرهاب بالمعنىٰ المصطلح عليه في الوقت الحاضر:

وحتىٰ يتبين الفرق لابد من ضبط تعريف للإرهاب الذي ينطبق علىٰ ما تقوم به بعض الجماعات المسلحة من تفجير هنا وهناك.

وذلك لأن كثيرًا من الجماعات المسلحة قد لبست علىٰ كثير من الشباب أن معنىٰ الإرهاب هو إخافة العدو مستدلين بقوله تعالىٰ: ﴿تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال:٦٠].

فكل ما يتوصل به إلىٰ إرهاب العدو فهو مقصد شرعي يجب الحث عليه، بغض النظر عن الوسائل والدواعي، وبدون النظر إلىٰ القواعد والضوابط الشرعية؛ ولهذا تعتبر هذه العمليات التفجيرية التدميرية التي لا تفرق بين الصغير، والكبير، والمرأة، ولا بين المسلم وغيره، ولا بين الكافر المحارب أو المهادن أو الذمي في نظر البعض من الجهاد الذي أمر الله تعالىٰ به.

لذلك أصبحت هناك ضرورة شرعية لضبط معنىٰ الإرهاب، وعلىٰ حسب علمي لم يتطرق علماء السلف إلىٰ تعريف كلمة الإرهاب بالمعنىٰ الاصطلاحي، ولكن معناها يدخل ضمن معنىٰ المحاربة، والله أعلم

---

(١) انظر تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي (ج ١/ ص٨٩).

فلذلك أنقل هنا تعريف المجمع الفقهي التابع لرابطة العالم الإسلامي المنعقد في مكة ضمن الدورة السادسة عشرة حيث صدر تعريف للإرهاب بأنه «العدوان الذي يمارسه أفراد أو جماعات أو دول؛ بغيًا علىٰ الإنسان في دينه، وعقله، وماله، وعرضه، ويشمل صنوف التخويف، والأذىٰ، والتهديد، والقتل بغير الحق، وما يتصل بصور الحرابة، وإضاقة السبيل، وقطع الطريق، وكل أنواع التهديد التي يقع تنفيذًا لمشروع إجرامي فردي أو جماعي، ويهدف إلىٰ إلقاء الرعب بين الناس، أو ترويعهم بإيذائهم، أو التعرض لحياتهم، أو حريتهم، أو أمنهم للخطر، ومن صنوفه إلحاق الضرر بالبيئة أو بأحد المرافق والأملاك العامة أو الخاصة». اهـ

والذي ينظر لمعنىٰ الجهاد بأنواعه التي شرعها الله تعالىٰ يجدها تختلف عما تقوم به بعض هذه الجماعات المسلحة[١].

سابعًا: علاقة الجهاد بالمنهج:

الجهاد له تعلق بثلاثة جوانب:

أولًا: جانب الفقه من حيث أحكام الجهاد.

ثانيًا: من حيث العقيدة؛ حيث ترىٰ أن أهل السنة في كتبهم ومؤلفاتهم في العقيدة أن أهل السنة يقاتلون مع أئمتهم وإن كانوا فجارًا، وأن الجهاد ذروة سنام الإسلام.

ثالثًا: جانب المنهج؛ فمن الناحية المنهجية نعلم أن هناك دعوات جعلت من الجهاد شعارًا لها لاستمالة قلوب الشباب، وتربيتهم التربية الحماسية غير المنضبطة باسم إحياء الجهاد، وأصبح عقد الولاء والبراء عليه، وهذا خلاف منهج السلف القائم علىٰ التصفية والتربية.

---

(١) انظر كتاب الجهاد أحكامه ومن يدعو إليه، د/ عبد المحسن المنيف.

ونحن في بلادنا خاصة أصبح كثير من المنتسبين للجماعات الإسلامية يربون أتباعهم علىٰ هذا الأساس؛ فالمبتدع والقبوري وغيرهم يوالون ويحبون لأنهم علىٰ زعمهم يجاهدون، أما السلفي فيعادىٰ، وربما يُقتل؛ لأنه لا يرىٰ صوابًا كثيرًا مما يتحمس إليه المتحمسون!

وكذلك إن الذي يفتي في الجهاد هم العلماء، والناس وراء العلماء لا أمامهم في الجهاد، والذي يخرج عن أقوال العلماء فقد خرج عن منهج السلف.

وهذا الضابط هو الذي يميز السلفي من غيره، والواقع يشهد أن كل من خرج عن أقوال العلماء وخصوصًا في النوازل كانت نهايته في أحضان أهل البدع والمعاصي وإن ادعىٰ السلفية، والله المستعان.

وكل من خرج عن أقوال العلماء فإنه في حيرة وشك وتلون سرعة التقلب من رأي إلىٰ رأي والظهور لكل حالة بما يوافقها ولو بغير حق.

ثامنًا: من يفتي بالجهاد؟

كم من قضية شغلت الأمة سنين وحار فيها الراسخون، ولو كانت في الصدر الأول لجمع لها أهل بدر! تسابق الأدعياء إلىٰ التنظير فيها، فتراهم يستبيحون الدماء والفروج بأخبث حيلة وأخس وسيلة.

فأما أهل العلم وطلابه فلم تزل بهم قدم ولم تتعثر بهم خطوة؛ فالذي يفتي بالنوازل العامة والكبيرة كالجهاد، والسياسة، والإمامة، هم العلماء، والعالم هو الذي شهد له العلماء بالعلم كما قال مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما أفتيت حتىٰ شهد لي سبعون أني أهل لذلك.

وقال الإمام أحمد: لا ينبغي أن ينصب الرجل نفسه للفتيا حتىٰ تكون له نية صادقة، وأن يكون له علم وحلم ووقار وسكينة، وأن يكون قويًا علىٰ ما هو عليه،

وكفايته عن الناس ومعرفة الناس، وكذلك ألا يفتي في مسألة يكفيه غيره إياها[١].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْمَفْتُونَ الَّذِينَ نَصَّبُوا أَنْفُسَهُمْ لِلْفَتْوَىٰ أَرْبَعَةُ أَقْسَامٍ: أَحَدُهُمْ الْعَالِمُ بِكِتَابِ الله وَسُنَّةِ رَسُولِهِ وَأَقْوَالِ الصَّحَابَةِ؛ فَهُوَ الْمُجْتَهِدُ فِي أَحْكَامِ النَّوَازِلِ»[٢].

تاسعًا: هل يشترط إذن ولي الأمر في الجهاد؟

قال الشيخ الفوزان: أهل السنة يقولون: لابد من راية، ولابد من إمام، هذا منهج المسلمين من عهد رسول الله ﷺ؛ فالذي يفتي بأنه لا إمام ولا راية وكل يتبع هواه هذا رأي الخوارج، أما بدون راية وبدون قيادة ولي الأمر فهذا لا يعتبر جهادًا، يعتبر تصرفًا شخصيًّا الله أعلم بمآله ونتائجه.

س: كيف نرد علىٰ من يحتج بقصة أبي بصير علىٰ عدم إذن ولي الأمر بالجهاد؟

ج: قال الشيخ الفوزان: أبو بصير ما هو في قبضة الإمام، أبو بصير كان في قبضة الكفار وفي ولايتهم، وهو يريد أن يخلص نفسه من الكفار، وليس هو تحت ولاية الرسول ﷺ؛ لأن الرسول ﷺ رده لهم بموجب العهد والصلح الذي جرىٰ بين الكفار والرسول ﷺ في صلح الحديبية[٣].

والآن بعد هذه المقدمة فإن الجواب علىٰ سؤال حكم الجهاد في العراق لا يكون بـ(نعم أو لا) ابتداء، بل لابد من هذه المقدمة ثم تضيف إليها ما يلي:

١- معرفة القواعد والضوابط الأصولية والفقهية في زمن الفتن التي مر

---

(١) انظر إعلام الموقعين عن رب العالمين.

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين (ج ٥/ ص٧١).

(٣) انظر كتاب الإجابات المهمة (ص٦٤).

ذكرها قريبًا.

٢- لابد من التفريق بين نصوص فضائل الجهاد وبين نصوص أحكام الجهاد؛ لأن الكثير من الشباب يتحمس إلىٰ القتال كيفما اتفق لكثرة ما يسمع من الأحاديث في الترغيب في الجهاد، حتىٰ إن بعض الشباب المتحمس جدًّا يقول: كيف لا يفتي العلماء بوجوب الجهاد في العراق، والله -جل وعلا- يقول.... وبدأ يذكر آيات فضائل الجهاد.

٣- إن حفظ نصوص أنواع وأحكام الجهاد لا تكفي للفتوىٰ، بل لابد من معرفة تنزيل هذه النصوص علىٰ الواقع، وهو الذي يُعرف عند العلماء بتحقيق مناط النص، وهي صنعة اجتهادية من اختصاص المجتهد؛ لذلك إن الكثير من الشباب اغتر بكثرة حفظه للنصوص، فظن هو بنفسه أو ظُن به أنه أصبح عالمًا له الحق في الفتوىٰ.

٤- قبل الإفتاء في حكم الجهاد في العراق لابد من معرفة بعض المقدمات التي تخص واقع العراق، منها:

ما هو واقع العراق بدقة ؟

هل أن أهل العراق متفقون لقتال العدو، أم أن أكثر من ثلثي البلد لا يريد مقاتلة الأعداء؟

هل هناك عدو داخلي هو أعظم خطرًا من العدو الخارجي بحيث من مصلحته أن يحترق السنة بحرب محسومة النتائج؟

هل هناك القدرة اليقينية لدفع خطر العدو؟

مراعاة المصالح العامة والمفاسد العامة.

هل يمكن الحفاظ علىٰ الدين والمال والعرض عند الدخول في هذه

الحرب، أم إن المفاسد ستكون أضعاف أضعاف المصالح المرجوّة؟

هل هناك راية معقودة يُقاتل تحتها؟

هل هناك ما يؤمِن المجاهد في نفسه وأهله؟

هل ستقام دولة تُنصر فيها الشريعة الغراء وأهلها؟

وحقيقة: أن هذه الأسئلة قد لا يستوعبها الكثير، وخصوصًا ممن يعيش في الخارج آمنًا في نفسه وماله وعرضه، ولا يدري حقيقة ما يجري في العراق.

ولكن أقولها بصراحة: إن عجائز العراق تستطيع أن تدرك معاني هذه الأسئلة وأجوبتها بصور إجمالية، بينما تخفىٰ علىٰ الكثير من المتحمسين، ولعل بعضهم يحمل الشهادات العالية ويدعي معرفة لفقه الواقع، علمًا أن الذين كانوا متحمسين للإفتاء بوجوب الجهاد في العراق، وتحميس الشباب للذهاب إلىٰ العراق سمعنا من تصريحاتهم أنهم يقولون: لو استقبلنا من أمرنا ما استدبرنا ما خضنا في نازلة العراق، وأصبح بعضهم يرمي اللوم علىٰ بعض.

قال الشيخ محمد بن هادي المدخلي -حفظه الله- في نصيحة وجهها لأهل السنة في العراق: ومن أراد معرفة صحة المقدمات فلينظر إلىٰ النتائج.

الخلاصة:

- إن الجهاد ذروة سنام الإسلام، وهو من أفضل الأعمال، ولم يفرض الجهاد في مكة؛ وذلك لعدم توفر القدرة للجهاد، وكان الصحابة منهيين عنه ومأمورين بالصبر وكف الأيدي.

- فرض جهاد الطلب في المدينة يوم كان للمسلمين دولة وقوة وولي أمر.

- الجهاد ليس غاية بذاته يجب الإتيان به علىٰ أي حال ومهما كانت النتائج.

- الذي يفتي بالجهاد والنوازل العامة هم العلماء، والخروج عنهم يعتبر خروجًا منهجيًّا.

- لا يحق لطالب العلم أو أنصاف المتعلمين الإفتاء في مسائل الجهاد والنوازل العامة مادام في الأمة علماء يكفونهم ذلك.

- لابد من مراعاة المصالح والمفاسد عند الإفتاء بالجهاد، ولابد من وجود القدرة اليقينية لدفع العدو.

❊ ❊ ❊

المبحث الثاني:
حكم ضرب العدو المتترس بالمسلمين

إن الأصل في هذه المسألة التي أفردها أهل العلم في كتب الفقه بـ (حكم التترس): هو قوله تعالىٰ: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح:٢٥].

قال العلامة ابن سعدي في تفسير هذه الآية: (ذكر تعالىٰ الأمور المهيجة علىٰ قتال المشركين، وهي كفرهم بالله ورسوله، وصدهم رسول الله ومن معه من المؤمنين، أن يأتوا للبيت الحرام زائرين معظمين له بالحج والعمرة، وهم الذين أيضًا صدوا ﴿وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا﴾ أي: محبوسًا ﴿أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ﴾ وهو محل ذبحه وهو مكة، فمنعوه من الوصول إليه ظلمًا وعدوانًا.

وكل هذه أمور موجبة وداعية إلىٰ قتالهم، ولكن ثَمَّ مانع وهو وجود رجال ونساء من أهل الإيمان بين أظهر المشركين، وليسوا متميزين بمحلة أو مكان يمكن ألا ينالهم أذىٰ، فلولا هؤلاء الرجال المؤمنون، والنساء المؤمنات، الذين لا يعلمهم المسلمون ﴿أَن تَطَـُٔوهُمْ﴾، أي: خشية أن تطئوهم ﴿فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ والمعرة: ما يدخل تحت قتالهم من نيلهم بالأذىٰ والمكروه، وفائدة أخروية،

وهو أنه ليدخل في رحمته من يشاء فيمن عليهم بالإيمان بعد الكفر، وبالهدىٰ بعد الضلال، فيمنعكم من قتالهم لهذا السبب»[١].

أقوال العلماء في هذه المسألة:

١- **قال ابن قدامة في المغني:** «وَإِنْ تَتَرَّسُوا أي: الكفار بِمُسْلِمٍ، وَلَمْ تَدْعُ حَاجَةٌ إلَىٰ رَمْيِهِمْ، لِكَوْنِ الْحَرْبِ غَيْرَ قَائِمَةٍ، أَوْ لِإِمْكَانِ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِمْ بِدُونِهِ، أَوْ لِلْأَمْنِ مِنْ شَرِّهِمْ، لَمْ يَجُزْ رَمْيُهُمْ، فَإِنْ رَمَاهُمْ فَأَصَابَ مُسْلِمًا، فَعَلَيْهِ ضَمَانُهُ.

وَإِنْ دَعَتْ الْحَاجَةُ إلَىٰ رَمْيِهِمْ لِلْخَوْفِ عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ، جَازَ رَمْيُهُمْ؛ لِأَنَّهَا حَالُ ضَرُورَةٍ وَيَقْصِدُ الْكُفَّارَ.

وَإِنْ لَمْ يُخَفْ عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ، لَكِنْ لَمْ يُقْدَرْ عَلَيْهِمْ إلَّا بِالرَّمْيِ، فَقَالَ الْأَوْزَاعِيُّ وَاللَّيْثُ: لَا يَجُوزُ رَمْيُهُمْ؛ لِقَوْلِ الله تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ﴾ الْآيَةَ»[٢].

٢- **قَالَ اللَّيْثُ:** تَرْكُ فَتْحِ حِصْنٍ يُقْدَرُ عَلَىٰ فَتْحِهِ، أَفْضَلُ مِنْ قَتْلِ مُسْلِمٍ بِغَيْرِ حَقٍّ.

٣- **وَقَالَ الْأَوْزَاعِيُّ:** كَيْفَ يَرْمُونَ مَنْ لَا يَرَوْنَهُ، إنَّمَا يَرْمُونَ أَطْفَالَ الْمُسْلِمِينَ[٣].

٤- **وقد ذهب مالك والأوزاعي إلىٰ** أنه لا يجوز قتل النساء والصبيان بحال، حتىٰ لو تترس أهل الحرب بالنساء والصبيان لم يجز رميهم ولا تحريقهم[٤].

٥- **قال الشوكاني:** وأحاديث الباب -بعد أن أوردها- تدل علىٰ أنه لا يجوز قتل النساء والصبيان، وإلىٰ ذلك ذهب مالك والأوزاعي؛ فلا يجوز ذلك عندهما

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي (ج ١/ ص ٧٩٤).

(٢) انظر المغني (ج ٢١/ ص١٠٥).

(٣) انظر المغني (ج٢١/ ص١٠٥).

(٤) انظر المجموع (ج ١٩/ ص٢٤٠).

بحال من الأحوال حتىٰ لو تترس أهل الحرب بالنساء والصبيان، أو تحصنوا بحصن أو سفينة وجعلوا معهم النساء والصبيان لم يجز رميهم ولا تحريقهم.

٦- ذهبت الشافعية والكوفيون إلىٰ الجمع بين الأحاديث المذكورة؛ فقالوا: إذا قاتلت المرأة جاز قتلها.

٧- **قال ابن حبيب من المالكية**: لا يجوز القصد إلىٰ قتلها إذا قاتلت، إلا إذا باشرت القتل أو قصدت إليه.

٨- **وَعِنْدَ الْأَئِمَّةِ الثَّلَاثَةِ**: لَا يَجُوزُ رَمْيُهُمْ فِي صُورَةِ التَّتَرُّسِ إلَّا إذَا كَانَ فِي الْكَفِّ عَنْ رَمْيِهِمْ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ انْهِزَامُ الْمُسْلِمِينَ، وَهُوَ قَوْلُ الْحَسَنِ بْنِ زِيَادٍ، فَإِنْ رَمَوْا وَأُصِيبَ أَحَدٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ فَعِنْدَ الْحَسَنِ بْنِ زِيَادٍ فِيهِ الدِّيَةُ وَالْكَفَّارَةُ، وَعِنْدَ الشَّافِعِيِّ فِيهِ الْكَفَّارَةُ قَوْلًا وَاحِدًا، وَفِي الدِّيَةِ قَوْلَانِ.

٩- **قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ**: إنْ قَصَدَهُ بِعَيْنِهِ لَزِمَهُ الدِّيَةُ عَلِمَهُ مُسْلِمًا أَوْ لَمْ يَعْلَمْهُ؛ لِقَوْلِهِ -عليه الصلاة والسلام-: «**لَيْسَ فِي الْإِسْلَامِ دَمٌ مُفْرَجٌ**»، وَإِنْ لَمْ يَقْصِدْهُ بِعَيْنِهِ بَلْ رَمَىٰ إلَىٰ الصَّفِّ فَأُصِيبَ فَلَا دِيَةَ عَلَيْهِ.

وَأَمَّا الْأَوَّلُ فَلِأَنَّ الْإِقْدَامَ عَلَىٰ قَتْلِ الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، وَتَرْكُ قَتْلِ الْكَافِرِ جَائِزٌ؛ أَلَا تَرَىٰ أَنَّ لَلْإِمَامَ ألا يَقْتُلَ الْأُسَارَىٰ لِمَنْفَعَةِ الْمُسْلِمِينَ فَكَانَ تَرْكُهُ لِعَدَمِ قَتْلِ الْمُسْلِمِ أَوْلَىٰ، وَلِأَنَّ مَفْسَدَةَ قَتْلِ الْمُسْلِمِ فَوْقَ مَصْلَحَةِ قَتْلِ الْكَافِرِ[1].

وكذلك ذكر أهل العلم كما في كتاب المصالح المرسلة تحت باب المصلحة الضرورية والقطعية؛ لأن المصلحة منها ما هو ضروري، ومنها ما هو من قبيل الحاجيات، ومنها من قبيل الكماليات.

---

(١) انظر فتح القدير (ج ١٢/ ص٤٠٠).

والمصلحة القطعية: هي المتأكد حصولها، وليست المصلحة المتوهم حصولها. هذا أولًا.

وثانيًا: هي المصلحة العامة التي تشمل كل الناس أو أغلبهم؛ فلو تترس الكفار بجماعة من أسرىٰ المسلمين بحيث لو كففنا عنهم لصدمونا وغلبوا علىٰ دار الإسلام وقتلوا كافة المسلمين؛ فالمصلحة الضرورية هي حفظ جميع المسلمين عند التمكن أو أكثرهم عند عدم التمكن من حفظ الجميع، وهذه المصلحة مأخوذة باعتبار أنها:

١- ضرورية.

٢- قطعية.

٣- كلية.

قال الغزالي في المستصفىٰ: «الْوَاقِعُ فِي رُتْبَةِ الضَّرُورَاتِ فَلَا بُعْدَ فِي أَنْ يُؤَدِّيَ إلَيْهِ اجْتِهَادُ مُجْتَهِدٍ، وَإِنْ لَمْ يَشْهَدْ لَهُ أَصْلٌ مُعَيَّنٌ، وَمِثَالُهُ: أَنَّ الْكُفَّارَ إذَا تَتَرَّسُوا بِجَمَاعَةٍ مِنْ أُسَارَىٰ الْمُسْلِمِينَ، فَلَوْ كَفَفْنَا عَنْهُمْ لَصَدَمُونَا وَغَلَبُوا عَلَىٰ دَارِ الْإِسْلَامِ وَقَتَلُوا كَافَّةَ الْمُسْلِمِينَ، وَلَوْ رَمَيْنَا التُّرْسَ لَقَتَلْنَا مُسْلِمًا مَعْصُومًا لَمْ يُذْنِبْ ذَنْبًا وَهَذَا لَا عَهْدَ بِهِ فِي الشَّرْعِ، وَلَوْ كَفَفْنَا لَسَلَّطْنَا الْكُفَّارَ عَلَىٰ جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ فَيَقْتُلُونَهُمْ ثُمَّ يَقْتُلُونَ الْأُسَارَىٰ أَيْضًا.

فَيَجُوزُ أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ: هَذَا الْأَسِيرُ مَقْتُولٌ بِكُلِّ حَالٍ؛ فَحِفْظُ جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ أَقْرَبُ إلَىٰ مَقْصُودِ الشَّرْعِ؛ لِأَنَّا نَعْلَمُ قَطْعًا أَنَّ مَقْصُودَ الشَّرْعِ تَقْلِيلُ الْقَتْلِ كَمَا يَقْصِدُ حَسْمَ سَبِيلِهِ عِنْدَ الْإِمْكَانِ، فَإِنْ لَمْ نَقْدِرْ عَلَىٰ الْحَسْمِ قَدَرْنَا عَلَىٰ التَّقْلِيلِ وَكَانَ هَذَا الْتِفَاتًا إلَىٰ مَصْلَحَةٍ عُلِمَ بِالضَّرُورَةِ كَوْنُهَا مَقْصُودَ الشَّرْعِ، لَا بِدَلِيلٍ وَاحِدٍ وَأَصْلٍ مُعَيَّنٍ، بَلْ بِأَدِلَّةٍ خَارِجَةٍ عَنْ الْحَصْرِ.

لَكِنَّ تَحْصِيلَ هَذَا الْمَقْصُودِ بِهَذَا الطَّرِيقِ وَهُوَ قَتْلُ مَنْ لَمْ يُذْنِبْ غَرِيبٌ لَمْ يَشْهَدْ لَهُ أَصْلٌ مُعَيَّنٌ، فَهَذَا مِثَالُ مَصْلَحَةٍ غَيْرِ مَأْخُوذَةٍ بِطَرِيقِ الْقِيَاسِ عَلَىٰ أَصْلٍ مُعَيَّنٍ.

وَانْقَدَحَ اعْتِبَارُهَا بِاعْتِبَارِ ثَلَاثَةِ أَوْصَافٍ أَنَّهَا ضَرُورَةٌ قَطْعِيَّةٌ كُلِّيَّةٌ، وَلَيْسَ فِي مَعْنَاهَا مَا لَوْ تَتَرَّسَ الْكُفَّارُ فِي قَلْعَةٍ بِمُسْلِمٍ؛ إِذْ لَا يَحِلُّ رَمْيُ التُّرْسِ؛ إِذْ لَا ضَرُورَةَ فَبِنَا غُنْيَةٌ عَنْ الْقَلْعَةِ فَنَعْدِلُ عَنْهَا إِذْ لَمْ نَقْطَعْ بِظَفَرِنَا بِهَا؛ لِأَنَّهَا لَيْسَتْ قَطْعِيَّةً، بَلْ ظَنِّيَّةً»[1].

والذي ينظر لهذه الضوابط ويرىٰ ما يفعله البعض من ضرب الأطفال والنساء والشيوخ العُجّز في الأسواق وفي الطرقات، بحجة ضرب المحتل المتواجد بينهم، مع أن الذي يصاب من المسلمين أضعاف أضعاف ما يقتل من الكفار أن قُدر أصابتهم بالإضافة إلىٰ ردة الفعل من قبل الكافر التي ربما تقضي علىٰ من بقي من المسلمين لم يصب بأذىٰ.

وكذلك ضرب العزل في السجون وخصوصًا سجن أبي غريب سابقًا، مع أن الإصابة تقع علىٰ هؤلاء العزل الذين لا حول لهم ولا قوة، وليست هناك مصلحة توازي هذه المفسدة.

أقول: إن هذه الأعمال لاشك أنها تبعد كل البعد عن الضوابط الشرعية التي تكلم بها الفقهاء في هذا الباب.

ومن هذه الأدلة والأقوال يتضح الراجح في المسألة وهو المنع؛ تغليبًا لدفع الأذية عن المسلمين، وإن فاتت مصلحة النكاية بالعدو.

---

(١) انظر المستصفىٰ (١/ ١٤١) و (١/ ص٤٤١ و٤٤٢).

وهنا أختم البحث في هذه المسألة بقول جميل للعلاّمة القيم ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ضرورة فهم النصوص الشرعية مع سلامة القصد، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن صِحَّةُ الْفَهْمِ وَحُسْنُ الْقَصْدِ مِنْ أَعْظَمِ نِعَمِ الله الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَىٰ عَبْدِهِ، بَلْ مَا أُعْطِيَ عَبْدٌ عَطَاءً بَعْدَ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ وَلَا أَجَلُّ مِنْهُمَا، بَلْ هُمَا سَاقَا الْإِسْلَامِ، وَقِيَامُهُ عَلَيْهِمَا، وَبِهِمَا يَأْمَنُ الْعَبْدُ طَرِيقَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ الَّذِينَ فَسَدَ قَصْدُهُمْ، وَطَرِيقُ الضَّالِّينَ الَّذِينَ فَسَدَتْ فُهُومُهُمْ، وَيَصِيرُ مِنْ الْمُنْعَمِ عَلَيْهِمْ الَّذِينَ حَسُنَتْ أَفْهَامُهُمْ وَقُصُودُهُمْ، وَهُمْ أَهْلُ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ الَّذِينَ أُمِرْنَا أَنْ نَسْأَلَ الله أَنْ يَهْدِيَنَا صِرَاطَهُمْ فِي كُلِّ صَلَاةٍ.

وَصِحَّةُ الْفَهْمِ نُورٌ يَقْذِفُهُ الله فِي قَلْبِ الْعَبْدِ، يُمَيِّزُ بِهِ بَيْنَ الصَّحِيحِ وَالْفَاسِدِ، وَالْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالْهُدَىٰ وَالضَّلَالِ، وَالْغَيِّ وَالرَّشَادِ، وَيَمُدُّهُ حُسْنَ الْقَصْدِ، وَتَحَرِّي الْحَقَّ، وَتَقْوَىٰ الرَّبِّ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، وَيَقْطَعُ مَادَّتُهُ اتِّبَاعَ الْهَوَىٰ، وَإِيثَارَ الدُّنْيَا، وَطَلَبَ مَحْمَدَةِ الْخَلْقِ، وَتَرْكَ التَّقْوَىٰ»[١].

* * *

(١) انظر زاد المعاد (ج ٣/ ص٥).

المبحث الثالث: عمليات تفجير النفس بين صفوف الكفار كرد فعل لأفعالهم ضد المسلمين

وهذه المسألة هي فرع من التي قبلها، ولها تعلق كبير وخصوصًا في بلادنا، كون الكثير من هذه العمليات تنفذ ضد الكفار مع المسلمين علىٰ حد سواء، بل والكثير منها يكون ضد المسلمين فقط بحجج وشبه لا تسوغ هذا العمل.

والواجب علىٰ المسلم: أن يحترم هذه النفس التي كرّمها الله تعالىٰ، وإن كانت نفسه التي بين جنبيه؛ فإنه وإن كانت نفسك بين جنبيك فليس لك أن تقوم بأذيتها إلا بحدود الشرع، وكيف وإن رافق قتلك لنفسك إزهاق الكثير من الأنفس المعصومة من المسلمين والمسلمات؛ لذلك شدد العلماء في تحريم هذه العمليات الانتحارية التي كثرت وخصوصًا في العراق، ولم يقتصر في تنفيذها الرجال فقط، بل الرجال والنساء علىٰ حد سواء.

وكذلك لم تقتصر علىٰ الكفار فقط، بل شملت حتىٰ المسلمين، وتعدىٰ الأمر أن الجماعات والأحزاب المتناحرة في هذا البلد المضطرب أصبحت تقوم بهذه الأعمال بعضها علىٰ بعض، وإليك هذا المثال الواقعي؛ ففي الطريق الذي أمام بيتي فجَّر ثلاثة من المقاتلين الذين جاءوا من الخارج الذين ينتمون لبعض الجماعات المسلحة أنفسهم علىٰ مقاتلين أُخر، ولكن ينتمون لجماعة أخرىٰ تخالفها في المنهج والمفاهيم.

فإنا لله وإنا إليه راجعون علىٰ ما أصاب الأفهام والعقول!

الأصل في هذه المسألة: قصة الغلام والساحر في قصة أصحاب الأخدود، وكذلك أثر البراء بن عازب رضي الله عنه.

أقوال العلماء في هذه القضية:

١- **قال الشافعي:** أخبرنا الثقفي، عن حميد، عن موسىٰ بن أنس، عن أنس ابن مالك أن عمر بن الخطاب -رضىٰ الله تعالىٰ عنه- سأله إذا حاصرتم المدينة كيف تصنعون؟

قال: نبعث الرجل إلىٰ المدينة ونصنع له هنة من جلود.

قال: أرأيت إن رمىٰ بحجر؟

قال: إذن يقتل.

قال: فلا تفعلوا؛ فوالذي نفسي بيده ما يسرني أن تفتحوا مدينة فيها أربعة آلاف مقاتل بتضييع رجل مسلم.

قال الشافعي -رحمه الله تعالىٰ-: ما قال عمر بن الخطاب من هذا احتياط وحسن نظر للمسلمين، وإنىٰ أستحب للإمام ولجميع العمال وللناس كلهم ألا يكونوا معترضين لمثل هذا ولا لغيره مما الأغلب عليه منه التلف.

والمبارزة ليست هكذا؛ لأن المبارزة إنما يبرز لأحد، فلا يبين أنه مخاطر، إنما المخاطر المتقدم علىٰ جماعة أهل الحصن فيرمىٰ علىٰ الجماعة وحده الأغلب ألا يدان له بهم.

فإن قال قائل: ما دل علىٰ أن لا بأس بالتقدم علىٰ الجماعة؟

قيل: بلغنا أن رجلًا قال: يا رسول الله، إلام يضحك الله من عبده؟ قال: «**غمسه يده في العدو حاسرًا**» فألقىٰ درعًا كانت عليه، وحمل حاسرًا حتىٰ قُتل.

قال الشافعي -رحمه الله تعالىٰ-: والاختيار أن يتحرز[١].

٢- سئل سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما حكم من يلغم نفسه ليقتل بذلك مجموعة من اليهود؟

فقال: الذي أرىٰ: قد نبهنا غير مرة أن هذا لا يصلح؛ لأنه قاتل نفسه، والله يقول: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ﴾ [النساء:٢٩].

والنبيﷺ يقول: «**من قتل نفسه بشيء عذب يوم القيامة**».

يسعىٰ في هدايتهم، وإذ شرع الجهاد جاهد مع المسلمين، وإذ قتل -فالحمد لله-، أما أنه يقتل نفسه يحط اللغم في نفسه حتىٰ يُقتل معهم هذا غلط لا يجوز، أو يطعن نفسه معهم لا يجوز، ولكن يجاهد حيث شرع الجهاد مع المسلمين، أما عمل أبناء فلسطين هذا غلط ما يصلح، إنما الواجب عليهم الدعوة إلىٰ الله، والتعليم، والإرشاد، والنصيحة من دون هذا العمل[٢].

٣- وقال العلامة الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند شرح قصة أصحاب الأخدود حديث الملك والراهب والغلام حيث قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فأما ما يفعله بعض الناس من الانتحار بحيث يحمل آلات متفجرة ويتقدم بها إلىٰ الكفار ثم يفجرها إذا كان بينهم؛ فإن هذا من قتل النفس والعياذ بالله...

إلىٰ أن قال: ولهذا نرىٰ ما يفعله بعض الناس من هذا الانتحار نرىٰ أنه قتل النفس بغير حق، وأنه موجب لدخول النار -والعياذ بالله-، وأن صاحبه ليس بشهيد، لكن إذا فعل إنسان هذا متأولًا ظانًّا أنه جائز فإننا نرجو أن يسلم من الإثم[٣].

---

(١) الأم (ج ٤/ ص٢٦٦).

(٢) انظر الفتاوىٰ الشرعية في القضايا العصرية لمحمد بن فهد الحصين (ص١٦٦).

(٣) نقلًا من كتاب رؤية شرعية للإحداث للتفجيرية، إعداد إبراهيم المحيميد.

٤- سئل الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله-: هل تجوز العمليات الانتحارية، وهل هناك شروط لصحة هذا العمل؟

الجواب: الله -جل وعلا- يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء:٢٩-٣٠].

هذا يشمل قتل الإنسان نفسه، وقتله لغيره بغير الحق؛ فلا يجوز للإنسان أن يقتل نفسه، بل يحافظ علىٰ نفسه غاية المحافظة، ولا يمنع هذا أنه يجاهد في سبيل الله، ويقاتل في سبيل الله، ولو تعرض للقتال والاستشهاد هذا طيب، أما أنه يتعمد قتل نفسه فهذا لا يجوز.

وفي عهد النبيﷺ في بعض الغزوات كان واحد من الشجعان يقاتل في سبيل الله مع الرسولﷺ، ثم أنه قُتل، فقال الناس يثنون عليه: ما أبلىٰ منا أحد مثل ما أبلىٰ فلان. قال النبي الرسولﷺ: «هو في النار»، هذا قبل أن يموت، فصعب ذلك علىٰ الصحابة كيف مثل هذا الإنسان الذي يقاتل ولا يترك من الكفار أحدًا إلا تبعه وقتله يكون في النار.

فتبعه رجل وراقبه وتتبعه بعدما جرح، ثم في النهاية رآه وضع غمد السيف علىٰ الأرض ورفع ذبابته إلىٰ أعلىٰ، ثم تحامل علىٰ السيف ودخل من صدره وخرج من ظهره، فمات الرجل، فقال هذا الصحابي: صدق رسول الله ﷺ، وعرفوا أن الرسولﷺ لا ينطق عن الهوىٰ، لماذا دخل النار مع هذا العمل؟ لأنه قتل نفسه ولم يصبر، فلا يجوز للإنسان أن يقتل نفسه(١).

(١) انظر الفتاوىٰ الشرعية في القضايا العصرية لمحمد بن فهد الحصين (ص١٧٣).

رابعًا: حكم إقامة الحدود عند غياب السلطان العام:

فضل إقامة الحدود:

إن من نعم الله تعالىٰ علىٰ الناس: أن أنزل إليهم الكتب، وأرسل إليهم الرسل مبشرين ومنذرين، وشرع لهم ما فيه صلاحهم في الدنيا والآخرة، ولعل من عظمة هذا الدين العظيم أن شرع لهم إقامة الحدود علىٰ من اقترف ما يوجب ذلك.

وأفردت في ذلك المؤلفات، وعقد أهل الفقه أبوابًا سموها (الحدود)، وفصَّلوا ذلك تفصيلًا بما لا يخفىٰ علىٰ من طلبه في مظانه، ورتب علىٰ إقامة الحدود بالحق فضائل عظيمة، منها:

قال رسول الله ﷺ: «**حد يعمل به في الأرض خير لأهل الأرض من أن يمطروا أربعين صباحًا**»(١).

وقال -عليه الصلاة والسلام-: «**من أصاب ذنبًا أقيم عليه حد ذلك الذنب فهو كفارته**»(٢).

وقال -عليه الصلاة والسلام-: «**أقيموا حدود الله تعالىٰ في البعيد و القريب، ولا تأخذكم بالله لومة لائم**»(٣).

ونهىٰ النبي ﷺ عن الشفاعة في الحدود إذا رفعت إلىٰ السلطان، كما في حديث أسامة عندما أراد أن يشفع في المرأة المخزومية التي سرقت؛ فقال -عليه الصلاة والسلام-: «**يا أسامة، أتشفع في حد من حدود الله؟!**»(٤).

---

(١) انظر السلسلة الصحيحة - مختصرة (ج ١/ ص٤٦١) (رقم٢٣١).

(٢) صحيح، السلسلة الصحيحة - مختصرة (ج ٥/ ص٤٠٨) رقم (٢٣١٧).

(٣) صححه الألباني، انظر حديث رقم (١١٩٠) في صحيح الجامع.

(٤) صحيح، انظر حديث رقم (٧٨٤٥) في صحيح الجامع للألباني.

وقال -عليه الصلاة والسلام-: «**من حالت شفاعته دون حد من حدود الله؛ فقد ضاد الله في أمره، ومن مات وعليه دين؛ فليس ثَم دينار ولا درهم ولكنها الحسنات والسيئات، ومن خاصم في باطل وهو يعلم؛ لم يزل في سخط الله حتىٰ ينزع، ومن قال في مؤمن ما ليس فيه؛ حبس في ردغة الخبال حتىٰ يأتي بالمخرج مما قال**»(١).

مَنْ يقيم الحدود؟

لما كانت الحدود بهذه الأهمية من الدين أحيطت بضوابط كبيرة قبل قيامها، ولعل من أعظمها وهو ما يهمنا في رسالتنا هذه أن قيام الحدود من صلاحيات السلطان العام ومن ينوب عنه فقط علىٰ القول الراجح من أقوال العلماء.

قال الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله-: إقامة الحدود من صلاحيات سلطان الأمة، وليس لكل أحد أن يقيم الحد؛ لأن هذا يلزم منه الفوضىٰ والفساد، ويلزم منه تفكك المجتمع وحدوث الثارات، وحدوث الفتن؛ فالحدود من صلاحيات السلطان المسلم، فإذا لم يكن هناك في المسلمين سلطان فأنه يكتفي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حسب الاستطاعة(٢).

وفي بلادنا لما استخف البعض في مسألة الدماء غرقت الأرض بدماء الكثير بحجة إقامة الحدود، بل أصبحنا نسمع بإقامة الحدود بين المساجين بعضهم علىٰ بعض وهم تحت سجن المحتل وداخل زنزانته، ولعل هذا من غرائب ما يجري في العراق أن المسجون أصبح لا يخشىٰ علىٰ نفسه من الكافر كخشيته من بعض المساجين الذين معه وخصوصًا إذا علم أنه كان من أهل المعاصي.

---

(١) صحيح، انظر السلسلة الصحيحة - مختصرة (ج ١/ ص٧٩٨) رقم (٤٣٧).

(٢) انظر مراجعات في فقه الواقع السياسي للدكتور عبد الله الرفاعي.

أما في القرىٰ والأرياف فالفوضىٰ والقتل علىٰ أبشع ما يكون!!

وهذا يدل علىٰ بُعد هؤلاء عن العلم الشرعي والضوابط الشرعية في مثل هذه النوازل التي يشيب لها الرأس.

حوار هادف

وهذا الحوار يمثل الجانب النظري للسلفيين مع خصومهم في نازلة العراق وما يتعلق بها.

قال الأول: هل جهاد الدفع فرض عين علىٰ كل مسلم ؟

قال الثاني: نعم، لكن إذا توفرت شروطه.

قال الأول: وما هي شروطه ؟

قال الثاني: جهاد الدفع معناه: أن أدفع أذية العدو عن الدين والمال والنفس، وهذا لا يكون إلا بالشرط الأول وهو القدرة، والشرط الثاني بأن تكون المصالح أعظم من المفاسد.

والعدو المحتل الآن عنده من القدرة ما يستطيع بها أن يهدم المدن والقرىٰ كما حصل في مدينة الفلوجة، حيث دمرت المساجد وهدمت البيوت وشردت العوائل، فما استطاع المقاتلون أن يوفروا الأمن لأنفسهم وعوائلهم فضلًا عن أن يدفعوا أذية العدو عنهم.

قال الفوزان -حفظه الله-: «إذا كان المسلمون تحت ولاية كافرة ولا يستطيعون إزالتها فإنهم يتمسكون بإسلامهم وبعقيدتهم، ولكن لا يخاطرون بأنفسهم ويغامرون في مجابهة الكفار، لأن ذلك يعود عليهم بالإبادة والقضاء علىٰ الدعوة، أما إذا كانت لهم قوة يستطيعون بها الجهاد فإنهم يجاهدون وفق الضوابط الشرعية،

والقوة هي القوة اليقينية، أما القوة المظنونة أو غير المتيقنة فإنه لا يجوز المخاطرة بالمسلمين والزج بهم في مخاطرات قد تؤدي بهم إلىٰ النهاية غير الحميدة»[١].

قال الأول: ثبت عن الرسولﷺ رغب في الدفاع عن النفس حتىٰ الموت.

قال الثاني: جهاد الدفع قد يكون اضطراري لا مناص منه، فإما الموت وإما الدفاع، وقد يكون العبد مخير من قبل الظالم الكافر بين القتل والإبادة والخراب، وبين المهادنة علىٰ إعطائه من المال ما يسلم به العبد علىٰ نفسه وعرضه ودينه.

قال الأول: فهل هذا يعني إننا نرضىٰ لأنفسنا الجلوس والتفرج ؟

قال الثاني: قبل التفكير بالعمل أو التفكير بالسعي أو الجلوس لابد أن نعرض عملنا علىٰ الشريعة.

فمن رحمة الله بعباده أن حفظ لنا الدين وسيرة المصطفىٰ -عليه الصلاة والسلام-، ولنسأل أنفسنا جميعًا ماذا فعل النبيﷺ في وقت الضعف ؟

مكث النبي ﷺ ثلاث عشرة سنة في مكة، والصحابة يقتلون، ويعذبون، ويحاصرون، وتقتل وتعذب نساءهم، ومع ذلك يأمر أصحابه بالصبر والتقوىٰ، لم يأمرهم بحمل السيوف أو الاغتيالات لماذا ؟ لأنه -عليه الصلاة والسلام- كان في زمن ضعف.

فالمسلم الحقيقي المتبع لرسوله يرضىٰ لنفسه في وقت الضعف ما ارتضاه النبي ﷺ لنفسه وصحابته، حتىٰ يحافظ علىٰ أرواح المسلمين وأعراضهم وأموالهم.

والجلوس قد يكون محمودًا كما في الجلوس عند الفتنة.

---

(١) مراجعات في الفقه السياسي (ص٥٢).

قال الأول: لكن الله -جل وعلا- أمر الرسولﷺ أن يجاهد الكفار ويغلظ عليهم، وأن يجاهدهم بماله ونفسه، وحث المسلمين علىٰ ذلك ورغبهم علىٰ الجهاد.

قال الثاني: الجهاد في الإسلام ثلاث مراحل، ولكل مرحلة جاءت آيات وأحاديث خاصة بها، والمسلم يعرض نفسه علىٰ هذه المراحل حتىٰ يستطيع أن يعرف أي النصوص تتنزل في حقه.

قال الأول: ما هي هذه المراحل ؟

قال الثاني: المرحلة الأولىٰ: مرحلة الضعف؛ فلم يشرع الجهاد خوفًا علىٰ المسلمين، لا خوفًا علىٰ الكفار والمنافقين، وأمرهم بالصبر والتقوىٰ، وهو جهاد النفس، وكذلك سنة الله في المرسلين، كما أمر الله -جل وعلا- موسىٰ وقومه أن يصبروا علىٰ فرعون وأذاه والعاقبة للمتقين.

قال تعالىٰ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟﴾ [الأعراف:١٣٧].

المرحلة الثانية: مرحلة العهود والمواثيق: وهذه المرحلة في بداية هجرة النبيﷺ إلىٰ المدينة، وفيها عقد النبيﷺ كثيرًا من المعاهدات حتىٰ مع اليهود والمشركين لكي يمهد لبناء دولة قوية تستطيع فيما بعد أن تنشر الإسلام بالسيف والعلم.

المرحلة الثالثة: وهي مرحلة التمكين، حيث فرض جهاد الطلب، وحث الله رسوله والمسلمين عليه، وأمر أن يقاتل الكفار كافة، وأمر بطرد اليهود من جزيرة العرب بعد نقضهم العهد وإخضاعهم لسلطان الإسلام، ومن رفض الدخول فيه يعطي الجزية وهو راغم الأنف.

ونحن الآن في العراق، دخل العدو المحتل الديار وفرض نفسه بالقوة، ومع ذلك أكثر من نصف البلاد معه تؤيده، والقسم الآخر منشغلون بالدنيا والسياسة، فما بقي إلا القليل لا يستطيعون أن يأمنوا علىٰ أنفسهم من مكر الأعداء والمنافقين.

فعلىٰ هذا الواقع أي مرحلة من المراحل التي مر بها الرسول ﷺ تنطبق علينا؟

لا شك أنها الأولىٰ؛ فوجب علينا الصبر والتقوىٰ.

قال الأول: أليس هذه المراحل التي تتحدث عنها نسخت بالآيات التي تأمر بالجهاد ؟

قال الثاني: قال العلامة الشيخ العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو يتحدث عن حكم الخروج علىٰ الحاكم الكافر: إذا كانوا لا يستطيعون إزالته، فلا يجوز لهم أن يتحرشوا بالظلمة والكفرة؛ لأن هذا يعود علىٰ المسلمين بالضرر والإبادة، والنبي ﷺ عاش في مكة ثلاث عشرة بعد البعثة والولاية فيها للكفار، ومعه من أسلم من أصحابه ولم ينازلوا الكفار، بل كانوا منهيين عن قتال الكفار في هذه الحقبة، ولم يؤمروا بالقتال إلا بعدما هاجر ﷺ وصار له دولة وجماعة يستطيع بهم أن يقاتل الكفار.

هذا هو منهج الإسلام، فإذا كان المسلمون تحت ولاية كافرة ولا يستطيعون إزالتها، فإنهم يتمسكون بإسلامهم وبعقيدتهم، ولكن لا يخاطرون بأنفسهم ويغامرون في مجابهة الكفار؛ لأن ذلك يعود عليهم بالإبادة والقضاء علىٰ الدعوة.

أما إذا كانت لهم قوة يستطيعون بها الجهاد فإنهم يجاهدون في سبيل الله علىٰ الضوابط الشرعية المعروفة[١].

---

(١) مراجعات في فقه الواقع السياسي والفكري علىٰ ضوء الكتاب والسنة.

قال الأول: ألم يقل الله -جل وعلا-: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال:٦٠]؟

قال الثاني: وهل يلزم من هذا أن الإعداد لابد أن يكون خلال سنة أو سنتين أو عشر، نحن نعلم أن أمريكا بقوتها وتطورها الحربي عشرات السنين وهي تخطط كيف تدخل العراق، ومهدت لذلك كل الطرق وأعدت الجواسيس والأعوان.

فنحن كمسلمين أمرنا الله بالإعداد وهذا واجب وأعظم الإعداد هو الرجوع إلىٰ الله؛ لأنه هو الذي بيده النصر.

وثانيًا: تكون هناك خطة من قبل أهل الحل والعقد لأهل العراق ولو علىٰ مدىٰ طويل يستعدون فيها نفسيًّا وعسكريًّا وسياسيًّا من أجل طرد المحتل، وقد يستمر ذلك عشرات السنين، لكن لابد من خطوات أمامه حتىٰ لا نخسر رأس المال من النفس والمال.

قال الأول: إذن لماذا لا يتكلم العلماء بذلك ؟

قال الثاني: إن من المصائب التي زادت الطين بلة: أن الناس لا يرجعون إلىٰ العلماء في زمن النوازل والفتن التي لا يفتي بها إلا خواص العلماء، وكان عمر ﷺ تعرض له المسألة يجمع لها أهل بدر.

والمصيبة أن بعض الشباب -هداهم الله- يتورع عن أكل تمرة حرام، ولا يتورع من الإفتاء في المسائل الكبيرة والنوازل الجسيمة وفي مسائل الدماء، فيجيز لنفسه ولغيره تولي القصاص لأدنىٰ شبهة مع أن الحدود تدرأ بالشبهات.

فكم من رجل قتل وعذب وهو عند الله قد يكون معذورًا بجهله أو تأويله، وقد يكون مظلومًا، والعلماء تكلموا وبينوا ونصحوا، ولكنهم اتهموا بالعمالة والجبن والمداراة للملوك والسلاطين، ثم تصدر الفتوىٰ ممن ليس لها أهل،

ونسي أن المفتي موقع عن رب العالمين.

قال الأول: ما هو موقفنا من الذين تصدروا الفتوىٰ وجروا المسلمين إلىٰ نزيف؟

قال الثاني: نقول لهم: من المستفيد الحقيقي من الدماء التي أريقت والأموال التي ضيعت والطاقات التي أهدرت والشباب الذين سجنوا أو قتلوا ؟

المستفيد الأول العدو المحتل، والمستفيد الثاني العدو الداخلي والخصم الذي يتربص لنا من أجل ضرب عصفورين بحجر واحد كما يقال؛ إهلاك السنة في العراق، وإشغال أمريكا بهم، وحتىٰ تفرغ الساحة الداخلية لغيرهم، وهذا ما حصل، ولكن هؤلاء المفتون عن ذلك غافلون.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرىٰ نحن مأمورون باتباع العلماء، والعلماء بينوا ونصحوا، فلماذا هذا الخروج عليهم؟

قال الأول: وهل الخروج علىٰ العلماء يعتبر خطأ منهجيًّا ؟

قال الثاني: إننا نفهم كلام الله وسنة رسول الله ﷺ، وفهم الكتاب والسنة يجب أن يكون علىٰ فهم السلف ونفهم كلام السلف بفهم العلماء، والخروج علىٰ فهم العلماء خروجًا منهجيًّا، فإذا وافق ذلك طعن ظاهر أو خفي للعلماء، فهذه صفة أهل البدع، ومن خرج عن منهج وفهم العلماء فقد وقع في بدعة الخوارج؛ لأن الخوارج خرجوا علىٰ العلماء والأمراء.

قال الأول: من يفتي في النوازل الكبيرة ؟

قال الثاني: الذي يتصدىٰ للفتوىٰ في مسائل الجهاد والإمامة وغيرها من المسائل الكبيرة هم خواص أهل العلم ، كما بيَّن ذلك شيخ الإسلام وابن القيم -رحمهم الله-.

ذكر ابن القيم في إعلام الموقعين أن الاجتهاد مطلق ومقيد، وفي هذين القسمين تجتمع أقسام المجتهدين الأربعة. انتهىٰ.

فالمجتهد المطلق هو الذي له الحق في الإفتاء في النوازل، وكذلك فإن الاجتهاد ينقسم إلىٰ صحيح وفاسد، فالصحيح هو الذي صدر من مجتهد توفرت فيه شروط الاجتهاد، والفاسد بعكس ذلك.

قال الأول: هل يجوز لطالب علم أن يقول: أنا مجتهد مقيد في مسألة الجهاد، ووجب علىٰ الجميع أخذ كلامي، والذي يخالف لا يخرج عن كونه جاهلًا أو جبانًا أو عميلًا ؟

قال الثاني: هذا الذي يزعم أنه مجتهد مقيد، هل يستطيع أن ينكر أن هناك علماء راسخين مجتهدين اجتهادًا مطلقًا أفتوا خلاف كلامه، فإن أنكر فلا يؤخذ بكلامه؛ لأنه كالمنكر لوجود الشمس في رابعة النهار، وإن أقر بذلك فهو يتهمهم بسوء النية، وهي الجبن أو العمالة، وهذه لا تخرج من سلفي سليم المنهج؛ لأن الطعن في العلماء صفة أهل البدع؛ لأن لازم قوله: أن الذي لا يجاهد يشمل الذي لا يفتي بالجهاد، فإن المتوقف عن الجهاد توقف لتوقف العلماء عن الفتيا بجوازه، فالطعن بالمتوقف عن الجهاد طعن في العلماء الذين أفتوا بذلك.

قال الأول: المجتهد المقيد إذا عرف عنه أنه مجروح العدالة فهل تقبل منه فتوىٰ ؟

قال الثاني: قال ابن قدامة رَحِمَهُ اللَّهُ: العدالة شرط لجواز الأخذ بقوله، فمن ليس عدلًا لا تقبل فتياه.

قال الأول: ما هي شروط وصفات المفتي ؟

قال الثاني: قال ابن القيم: لم تصح مرتبة التبليغ بالرواية والفتيا إلا لمن

اتصف بالعلم والصدق، ويكون مع ذلك حسن الطريقة مرضي السيرة، عدلًا في أقواله وأفعاله.

وقال الإمام أحمد: لا ينبغي أن ينصب الرجل نفسه للفتيا حتىٰ تكون له نية، و يكون له علم وحلم ووقار وسكينة، وأن يكون قويًّا علىٰ ما هو عليه، وكفايته عن الناس ومعرفة الناس، وكذلك ألا يفتي في مسألة يكفيه غيره إياها.

قال الأول: لماذا تعيبون علىٰ المقاتلين ضرب الكافر المترس بالمسلمين مع أن الفقهاء أجازوا ذلك للمصلحة ؟

قال الثاني: ذكر أهل العلم كما في كتاب المصالح المرسلة تحت باب المصلحة الضرورية والقطعية؛ لأن المصلحة منها ما هو ضروري، ومنها ما هو من قبيل الحاجيات، ومنها من قبيل الكماليات، والمصلحة القطعية هي المتأكد حصولها وليست المصلحة المتوهم حصولها، هذا أولًا، وثانيًا: هي المصلحة العامة التي تشمل كل الناس أو أغلبهم.

ومثال ذلك: لو تترس الكفار بجماعة من أسرىٰ المسلمين بحيث لو كففنا عنهم لصدمونا وغلبوا علىٰ دار الإسلام وقتلوا كافة المسلمين؛ فالمصلحة الضرورية هي حفظ جميع المسلمين عند التمكن أو أكثرهم عند عدم التمكن من حفظ الجميع، وهذه المصلحة مأخوذة باعتبار أنها:

١ - ضرورية.

٢ - قطعية.

٣ - كلية. انتهىٰ[١].

---

(١) المستصفىٰ (١/ ١٤١)، المصلحة المرسلة (ص٥٨).

فأين هذه المصلحة عند ضرب الكافر الظالم المحتل في سوق شعبي أو مكان سكني يذهب ضحيته من المسلمين الأبرياء أضعاف ما يقتل من الكفار، بالإضافة إلىٰ ما يلحق ذلك من ردة فعل من قبل الظالم الكافر الله أعلم بنتائجها.

لذلك أصبح أصعب شيء علىٰ الناس يوم يضرب عند بيوتهم الكافر؛ لأنهم يدركون ردة الفعل القاسية، لذلك أصبح الكثير من الناس يمنع المقاتلين من ضرب العدو من قرب داره، والذي لا يستطيع أن يمنع فلا أبالغ إذا قلت: إنه يدع الله ألا يتمكن المقاتلون من هدفهم خشية علىٰ نفسه وأهله.

قال الأول: أليس للمقاتلين أهل يخافون عليهم ؟

قال الثاني: أما الذين جاءوا من خارج الحدود فالغالب أنهم لا يبالون بمصالح الناس بحجة أن الجهاد لابد له من تضحيات، وعلىٰ أساس أنهم تركوا الأوطان والأهل من أجل نصرة العراقيين.

وأما المقاتل العراقي: فالغالب أنه يقاتل بعيد عن بيته وأهله، وهذا الأمر معروف عند من يعيش هذه الحرب عن قرب، لكنه مجهول لمن يتابع ذلك عن طريق الفضائيات.

قال الأول: هل يجوز مهادنة العدو أو صلح علىٰ شرط الأمان علىٰ النفس والدار ؟

قال الثاني: قال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ حول مشروعية الصلح مع إسرائيل المحتلة: إن قريشًا أخذت أموال المهاجرين ودورهم، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في سورة الحشر: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ [الحشر:٨] الآية.

ومع ذلك صالح النبي ﷺ قريشًا يوم الحديبية سنة ست من الهجرة، ولم

يمنع من هذا الصلح ما فعلته قريش من ظلم المهاجرين في دورهم وأموالهم، مراعاة للمصلحة العامة التي رآها النبيﷺ لجميع المسلمين.

وكذلك نقول: لو إن إنسانًا غصب دار إنسان وأخرجه إلىٰ العراء ثم صالحه علىٰ بعضها، فإن هذا يصح، لا شك أن المظلوم إذا رضي ببعض حقه واصطلح مع الظالم في ذلك فلا حرج، لعجزه عن أخذ حقه كله، وما لا يدرك كله لا يترك كله، والله -جل وعلا- يقول: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦](١).

قال الأول: هل يجوز إقامة الحدود علىٰ من يستحق الحد من قبيل الأفراد؟

قال الثاني: قال الشيخ الفوزان -حفظه الله-: إقامة الحدود من صلاحيات سلطان الأمة، وليس لكل أحد أن يقيم الحد؛ لأن هذا يلزم منه الفوضىٰ والفساد، فإذا لم يكن هناك في المسلمين سلطان فإنه يكتفي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حسب الاستطاعة.

قال الأول: ما الفرق بين الساحة الأفغانية الأولىٰ مع الروس والساحة العراقية، ولماذا أفتىٰ العلماء في الأولىٰ بمشروعية الجهاد وتوقفوا في الساحة العراقية ؟

قال الثاني: الفرق كبير من الناحية الداخلية ومن الناحية الخارجية؛ فمن الناحية الداخلية كانت الفصائل الأفغانية مع اختلافاتها العقائدية والمنهجية متفقة ضد الروس، وهذا بخلاف العراق تمامًا؛ حيث دخل البلد بحروب مدمرة لا فائدة منها مما جعل أكثر من ثلثي العراق يفرح بقدوم أمريكا وليس عنده استعداد لمحاربتها، وبالتالي شكلت قوة عراقية كبيرة لمحاربة من يحارب أمريكا.

ومن الناحية الخارجية: يقول الشيخ عبد العزيز الريس في شريط خاص لنقد من يفتي بالجهاد في العراق: الحرب الأفغانية الأولىٰ من حيث الظاهر كانت بين

(١) مجموع فتاوىٰ ابن باز (١٨/٤٥٦).

الأفغان وروسيا، ومن حيث الحقيقة كانت حرب أمريكية روسية. انتهىٰ. لكثرة المساعدات التي تصل إلىٰ المجاهدين الأفغان عبر باكستان من أمريكا وغيرها، حتىٰ إن مستشار الأمن القومي الأمريكي يقوم بزيارات إلىٰ الأفغان من أجل مساعدتهم ضد الروس.

ثم من المهم أن نعرف أن أفغانستان الآن تحت الاستعمار الأمريكي مما يؤكد حقيقة الوضع الأول!! بينما في العراق فجميع دول الجوار تقاطعك مقاطعة شبه تامة.

بالإضافة إلىٰ إن المقاومة نفسها ما استطاعت أن تكسب حب الناس فضلًا علىٰ مساعدتهم؛ لأن قسم كبير منهم لا يبالي بمضرة الناس أو إيذائهم المباشر أو غير المباشر، وكذلك دخول كثير من عصابات النهب والقتل باسم المقاومة، وكذلك القتل العشوائي وغيرها مما جعل الناس ينظرون إلىٰ المقاومة بأنهم عبارة عن معارضة انفصالية نتيجة لتصرفات كثير منهم الغير مسئولة.

وفي الختام: لابد من مراجعة شاملة بعد مرور سنين، ما هي الثمار التي جناها أهل السنة والجماعة من هذه المقاومة عدا السمعة التي ليس لها ميزان في الشرع؛ لأن الأعمال شرطها الإخلاص.

فمن الناحية الدعوية: تعطلت الدعوة، وقيد الدعاة، وهضم دورهم، وضيق عليهم.

ومن الناحية المادية: أهدرت مئات الملايين كانت ممكن أن تصرف في الدعوة والعلم، ومساعدة الدعاة، والمطابع، ودور النشر والتوزيع، وإقامة إذاعات ومحطات فضائية تعمل علىٰ نشر التوحيد والسنة التي هي الغاية الكبرىٰ التي من أجلها نحن نعيش علىٰ الأرض.

ومن الناحية السياسية لمن همه السياسة: فإن اللعبة السياسية كما يقال

أصبحت بأيدي أصحابها؛ فأهل السياسة أصبحوا لا يستطيعون أن يحركوا ساكنًا؛ لأن الأمر خرج من أيديهم.

ومن الناحية العسكرية: كان ممكن أن تكون للسنة قوة فاعلة ولها دور وحضور كبير.

ومن الناحية الأمنية: فمناطق أهل السنة والجماعة تعيش حياة أمنية في غاية الخطورة أصبح فيها الرجل لا يستطيع أن يخرج من بيته في أكثر الأحيان مخافة علىٰ نفسه وأهله.

والسؤال: ما هي الثمار ؟ وإذا كانت هناك ثمار مَنْ المستفيد منها ؟

قال الأول: هل يجوز الخروج عن إجماع العلماء ؟

قال الثاني: يقول شيخ الإسلام (ج ٢٠/ ص١٠): «معنىٰ الإجماع أن يجتمع علماء المسلمين علىٰ حكم من الأحكام، وإذا ثبت إجماع الأمة علىٰ حكم من الأحكام ، لم يكن لأحد أن يخرج عن إجماعهم».

يقول شيخ الإسلام (ج ٢٠/ ص٥٥): «ليس العاقل الذي يعلم الخير من الشر، وإنما العاقل الذي يعلم خير الخيرين وشر الشرين».

فإن كان الاحتلال شرًّا، فالأشر منه أن نعطيه الذريعة حتىٰ يدخلوا البيوت ويستحلوا الحرمات.

وقد يقول قائل: إنهم يفعلون ذلك ولو لم نعطهم الذريعة أو نقاومهم.

نقول: هذا ظن، وعندنا يقين أنه لما ضربناهم دخلوا البيوت واعتقلوا وقتلوا وغير ذلك؛ فتقديم اليقين المشاهد مقدم علىٰ الظن الغائب.

ولكن الأهواء قارنت الآراء.

جعلنا الله جميعًا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

إخبار الرسول ﷺ بوقوع الفتن في العراق

وهذه مجوعة من الأحاديث تدل علىٰ وقوع الفتن في أرض العراق:

١- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: دعا نبي الله ﷺ فقال: «**اللهم بارك لنا في صاعنا ومدنا، وبارك لنا في شامنا ويمننا**»، فقال رجل من القوم: يا نبي الله، وعراقنا؟ قال: «**إن بها قرن الشيطان وتهيج الفتن، وإن الجفاء بالمشرق**»(١).

٢- عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ يُشِيرُ إِلَىٰ الْمَشْرِقِ فَقَالَ: «**هَا إِنَّ الْفِتْنَةَ هَا هُنَا، إِنَّ الْفِتْنَةَ هَا هُنَا مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ**»(٢).

٣- عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ: «**اللهمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَأْمِنَا، اللهمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمَنِنَا**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، وَفِي نَجْدِنَا؟ قَالَ: «**اللهمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَأْمِنَا، اللهمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمَنِنَا**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، وَفِي نَجْدِنَا؟ فَأَظُنُّهُ قَالَ فِي الثَّالِثَةِ: «**هُنَاكَ الزَّلَازِلُ وَالْفِتَنُ، وَبِهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ**»(٣).

٤- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**رَأْسُ الْكُفْرِ نَحْوَ الْمَشْرِقِ، وَالْفَخْرُ وَالْخُيَلَاءُ فِي أَهْلِ الْخَيْلِ وَالْإِبِلِ، وَالْفَدَّادِينَ أَهْلِ الْوَبَرِ، وَالسَّكِينَةُ فِي أَهْلِ الْغَنَمِ**»(٤).

---

(١) صححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (ج ٢/ ص٢٨)، وقال: صحيح لغيره.

(٢) رواه البخاري في الصحيح كتاب الفتن (٣٠٣٧).

(٣) رواه البخاري في كتاب الفتن برقم (٦٥٦٥).

(٤) رواه البخاري كتاب الفتن رقم (٣٠٥٦).

٥- عن سَالِمَ بْنَ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ يَقُول: يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ مَا أَسْأَلَكُمْ عَنْ الصَّغِيرَةِ وَأَرْكَبَكُمْ لِلْكَبِيرَةِ، سَمِعْتُ أَبِي عَبْدَ الله بْنَ عُمَرَ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ الْفِتْنَةَ تَجِيءُ مِنْ هَا هُنَا** -وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ نَحْوَ الْمَشْرِقِ-، **مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنَا الشَّيْطَانِ**»، وَأَنْتُمْ يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، وَإِنَّمَا قَتَلَ مُوسَىٰ الَّذِي قتَلَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ خطأً، فَقَالَ الله ﷻ لَهُ: ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾ [طه:٤٠][1].

٦- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يَخْرُجُ نَاسٌ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ وَيَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنْ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ ثُمَّ لا يَعُودُونَ فِيهِ حَتَّىٰ يَعُودَ السَّهْمُ إِلَىٰ فُوقِهِ**»، قِيلَ: مَا سِيمَاهُمْ؟ قَالَ: «**سِيمَاهُمْ التَّحْلِيقُ أَوْ قَالَ: التَّسْبِيدُ**»[2].

والتَّحْلِيق أَوْ قَالَ التَّسْبِيد، شَكٌّ مِنْ الرَّاوِي، وَهُوَ بِمَعْنَىٰ التَّحْلِيق، وَقِيلَ أَبْلَغ مِنْهُ وَهُوَ بِمَعْنَىٰ الِاسْتِئْصَال، وَقِيلَ إِنْ نَبتَ بَعْد أَيَّام، وَقِيلَ: هُوَ تَرْك دَهْن الشَّعْر وَغَسْله.

قَالَ الْكَرْمَانِيُّ: فِيهِ إِشْكَال، وَهُوَ أَنَّهُ يَلْزَم مِنْ وُجُود الْعَلَامَة وُجُود ذِي الْعَلَامَة فَيَسْتَلْزِم أَنَّ كُلّ مَنْ كَانَ مَحْلُوق الرَّأْس فَهُوَ مِنْ الْخَوَارِج، وَالْأَمْر بِخِلَافِ ذَلِكَ اِتِّفَاقًا...

ثُمَّ أَجَابَ بِأَنَّ السَّلَف كَانُوا لَا يَحْلِقُونَ رُءُوسهمْ إِلَّا لِلنُّسُكِ أَوْ فِي الْحَاجَة، وَالْخَوَارِج اتَّخَذُوهُ دَيْدَنًا فَصَارَ شِعَارًا لَهُمْ وَعُرِفُوا بِهِ.

قَالَ: وَيَحْتَمِل أَنْ يُرَاد بِهِ حَلْق الرَّأْس وَاللِّحْيَة وَجَمِيع شُعُورهمْ، وَأَنْ يُرَاد بِهِ الْإِفْرَاط فِي الْقَتْل وَالْمُبَالَغَة فِي الْمُخَالَفَة فِي أَمْر الدِّيَانَة.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه برقم (٥١٧٢)، (ج ١٤/ ص١٠٧).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٧٠٠٧).

قُلْت: الْأَوَّل بَاطِل؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَقَع مِنْ الْخَوَارِج، وَالثَّانِي مُحْتَمَل، لَكِنَّ طُرُق الْحَدِيث الْمُتَكَاثِرَة كَالصَّرِيحَةِ فِي إِرَادَة حَلْق الرَّأْس، وَالثَّالِث كَالثَّانِي، وَاللهُ أَعْلَم[١].

٧- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ نَوْفَلٍ قَالَ: كُنْتُ وَاقِفًا مَعَ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ فَقَالَ: لَا يَزَالُ النَّاسُ مُخْتَلِفَةً أَعْنَاقُهُمْ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا، قُلْتُ: أَجَلْ. قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**يُوشِكُ الْفُرَاتُ أَنْ يَحْسِرَ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَإِذَا سَمِعَ بِهِ النَّاسُ سَارُوا إِلَيْهِ فَيَقُولُ مَنْ عِنْدَهُ: لَئِنْ تَرَكْنَا النَّاسَ يَأْخُذُونَ مِنْهُ لَيُذْهَبَنَّ بِهِ كُلِّهِ، قَالَ: فَيَقْتَتِلُونَ عَلَيْهِ فَيُقْتَلُ مِنْ كُلِّ مِائَةٍ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ**»[٢].

ويتضح من الأحاديث السابقة أن هناك ثلاثة ألفاظ تكررت في هذه الأحاديث هي: (المشرق، نجد، العراق)؛ لذلك ذهب أكثر الشرّاح أن المقصود بالمشرق العراق، وكذلك المقصود بنجد هو نجد العراق.

قال ابن حجر في شرح حديث: «إني أرىٰ الفتن خلالكم كالقطر...» وفيه أشار إلىٰ المدينة، قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «وَإِنَّمَا اخْتَصَّتْ الْمَدِينَة بِذَلِكَ؛ لِأَنَّ قَتْل عُثْمَان رضي الله عنه كَانَ بِهَا، ثُمَّ اِنْتَشَرَتْ الْفِتَن فِي الْبِلَاد بَعْدَ ذَلِكَ، فَالْقِتَال بِالْجَمَلِ وَبِصِفِّينَ كَانَ بِسَبَبِ قَتْل عُثْمَان، وَالْقِتَال بِالنَّهْرَوَانِ كَانَ بِسَبَبِ التَّحْكِيم بِصِفِّينَ، وَكُلّ قِتَال وَقَعَ فِي ذَلِكَ الْعَصْر إِنَّمَا تَوَلَّدَ عَنْ شَيْء مِنْ ذَلِكَ أَوْ عَنْ شَيْء تَوَلَّدَ عَنْهُ، ثُمَّ أَنَّ قَتْل عُثْمَان كَانَ أَشَدّ أَسْبَابه الطَّعْن عَلَىٰ أُمَرَائِهِ ثُمَّ عَلَيْهِ بِتَوْلِيَتِهِ لَهُمْ، وَأَوَّل مَا نَشَأَ ذَلِكَ مِنْ الْعِرَاق وَهِيَ مِنْ جِهَة الْمَشْرِق»[٣].

---

(١) فتح الباري لابن حجر (ج٢١/ ص١٦٢٠).

(٢) صحيح مسلم (ج ١٤/ ص٨٢) رقم (٥١٥٥).

(٣) فتح الباري لابن حجر (ج ٢٠/ ص٦٥).

وقال -رحمه الله تعالىٰ- مبينًا أن موطن الفتن في العراق وكذلك خروج البدع منه، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَأَوَّل الْفِتَن كَانَ مِنْ قِبَل الْمَشْرِق فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبًا لِلْفُرْقَةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَذَلِكَ مما يُحِبّهُ الشَّيْطَان وَيَفْرَح بِهِ، وَكَذَلِكَ الْبِدَع نَشَأَتْ مِنْ تِلْكَ الْجِهَة، وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ: نَجِد مِنْ جِهَة الْمَشْرِق، وَمَنْ كَانَ بِالْمَدِينَةِ كَانَ نَجْده بَادِيَة الْعِرَاق وَنَوَاحِيهَا وَهِيَ مَشْرِق أَهْل الْمَدِينَة، وَأَصْل النَّجْد مَا اِرْتَفَعَ مِنْ الْأَرْض، وَهُوَ خِلَاف الْغَوْر؛ فَإِنَّهُ مَا اِنْخَفَضَ مِنْهَا، وَتِهَامَة كُلُّهَا مِنْ الْغَوْر وَمَكَّة مِنْ تِهَامَة»(١).

قَالَ الْمُهَلَّب: «إِنَّمَا تَرَكَ ﷺ الدُّعَاء لِأَهْلِ الْمَشْرِق لِيَضْعُفُوا عَنْ الشَّرّ الَّذِي هُوَ مَوْضُوع فِي جِهَتهمْ لِاسْتِيلَاءِ الشَّيْطَان بِالْفِتَنِ»(٢).

* * *

(١) فتح الباري لابن حجر (ج٢٠/ ص١٠١).

(٢) فتح الباري لابن حجر (ج٢٠/ ص١٠١).

الفصل الرابع:
سقوط بغداد على يد التتار

قال ابن كثير في كتابه البداية والنهاية (ج١٣/ ص٢٠٠) وهو يصف ما أصاب دار السلام من دمار وقتل لأبنائها علىٰ يد التتار قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ثم دخلت سنة ست وخمسين وستمائة فيها أخذت التتار بغداد، وقتلوا أكثر أهلها حتىٰ الخليفة، وانقضت دولة بني العباس منها استهلت هذه السنة وجنود التتار قد نازلت بغداد صحبة الأميرين اللذين علىٰ مقدمة عساكر سلطان التتار هولاكوخان، وجاءت إليهم أمداد صاحب الموصل يساعدونهم علىٰ البغاددة وميرته وهداياه وتحفه، وكل ذلك خوفًا علىٰ نفسه من التتار ومصانعة لهم -قبحهم الله تعالىٰ-.

وقد سترت بغداد ونصبت فيها المجانيق والعرادات وغيرها من آلات الممانعة التي لا ترد من قدر الله ﷻ شيئًا، كما ورد في الأثر: لن يغني حذر عن قدر، وكما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾ [نوح:٤].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الرعد:١١].

وأحاطت التتار بدار الخلافة يرشقونها بالنبال من كل جانب، حتىٰ أصيبت جارية كانت تلعب بين يدي الخليفة وتضحكه، وكانت من جملة حظاياه، وكانت مولدة تسمىٰ عرفة جاءها سهم من بعض الشبابيك فقتلها وهي ترقص بين يدي

الخليفة، فانزعج الخليفة من ذلك وفزع فزعًا شديدًا، وأحضر السهم الذي أصابها بين يديه فإذا عليه مكتوب: إذا أراد الله إنفاذ قضائه وقدره أذهب من ذوي العقول عقولهم، فأمر الخليفة عند ذلك بزيادة الاحتراز وكثرت الستائر علىٰ دار الخلافة.

وكان قدوم هولاكو خان بجنوده كلها وكانوا نحو مائتي ألف مقاتل إلىٰ بغداد في ثاني عشر المحرم من هذه السنة، وهو شديد الحنق علىٰ الخليفة بسبب ما كان تقدم من الأمر الذي قدره الله وقضاه وأنفذه وأمضاه، وهو أن هولاكو لما كان أول بروزه من همدان متوجهًا إلىٰ العراق أشار الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمي علىٰ الخليفة بأن يبعث إليه بهدايا سنية ليكون ذلك مداراة له عما يريده من قصد بلادهم، فخذل الخليفة عن ذلك دويداره الصغير أيبك وغيره، وقالوا: إن الوزير إنما يريد بهذا مصانعة ملك التتار بما يبعثه إليه من الأموال، وأشاروا بأن يبعث بشيء يسير، فأرسل شيئًا من الهدايا فاحتقرها هولاكو خان، وأرسل إلىٰ الخليفة يطلب منه دويداره المذكور وسليمان شاه، فلم يبعثهما إليه ولا بالا به، حتىٰ أزف قدومه ووصل بغداد بجنوده الكثيرة الكافرة الفاجرة الظالمة الغاشمة ممن لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر، فأحاطوا ببغداد من ناحيتها الغربية والشرقية»[1].

وجيوش بغداد في غاية القلة ونهاية الذلة لا يبلغون عشرة آلاف فارس، وهم وبقية الجيش كلهم قد صرفوا عن إقطاعاتهم حتىٰ استعطىٰ كثير منهم في الأسواق وأبواب المساجد، وأنشد فيهم الشعراء قصائد يرثون لهم ويحزنون علىٰ الإسلام وأهله، وذلك كله عن آراء الوزير ابن العلقمي الرافضي.

وذلك أنه لما كان في السنة الماضية كان بين أهل السنة والرافضة حرب عظيمة نهبت فيها الكرخ ومحلة الرافضة حتىٰ نهبت دور قرابات الوزير، فاشتد

---

(١) البداية والنهاية (ج١٣/ ص٢٠١).

حنقه على ذلك فكان هذا مما أهاجه على أن دبر على الإسلام وأهله ما وقع من الأمر الفظيع، الذي لم يؤرخ أبشع منه منذ بنيت بغداد وإلى هذه الأوقات؛ ولهذا كان أول من برز إلى التتار هو فخرج بأهله وأصحابه وخدمه وحشمه، فاجتمع بالسلطان هولاكو خان -لعنه الله-.

ثم عاد فأشار على الخليفة بالخروج إليه والمثول بين يديه، لتقع المصالحة على أن يكون نصف خراج العراق لهم ونصفه للخليفة، فاحتاج الخليفة إلى أن خرج في سبعمائة راكب من القضاة والفقهاء والصوفية ورءوس الأمراء والدولة والأعيان، فلما اقتربوا من منزل السلطان هولاكوخان حجبوا عن الخليفة إلا سبعة عشر نفسًا، فخلص الخليفة بهؤلاء المذكورين وأنزل الباقون عن مراكبهم ونهبت وقتلوا عن آخرهم.

وأحضر الخليفة بين يدي هولاكو، فسأله عن أشياء كثيرة فيقال: إنه اضطرب كلام الخليفة من هول ما رأى من الإهانة والجبروت، ثم عاد إلى بغداد وفي صحبته خوجة نصير الدين الطوسي، والوزير ابن العلقمي وغيرهما والخليفة تحت الحوطة والمصادرة، فأحضر من دار الخلافة شيئًا كثيرًا من الذهب والحلي والمصاغ والجواهر والأشياء النفيسة، وقد أشار أولئك الملأ من الرافضة وغيرهم من المنافقين على هولاكو ألا يصالح الخليفة، وقال الوزير: متى وقع الصلح على المناصفة لا يستمر هذا إلا عامًا أو عامين، ثم يعود الأمر إلى ما كان عليه قبل ذلك، وحسنوا له قتل الخليفة.

فلما عاد الخليفة إلى السلطان هولاكو أمر بقتله، ويقال: إن الذي أشار بقتله الوزير ابن العلقمي والمولى نصير الدين الطوس، وكان النصير عند هولاكو قد استصحبه في خدمته لما فتح قلاع الألموت وانتزعها من أيدي الإسماعيلية، وكان

النصير وزيرًا لشمس الشموس ولأبيه من قبله علاء الدين بن جلال الدين، وكانوا ينسبون إلىٰ نزار بن المستنصر العبيدي، وانتخب هولاكو النصير ليكون في خدمته كالوزير المشير.

فلما قدم هولاكو وتهيب من قتل الخليفة هون عليه الوزير ذلك، فتقلوه رفسًا وهو في جوالق لئلَّا يقع علىٰ الأرض شيء من دمه خافوا أن يؤخذ بثأره فيما قيل لهم، وقيل: بل خنق، ويقال: بل أغرق؛ فالله أعلم.

فباءوا بإثمه وإثم من كان معه من سادات العلماء والقضاة والأكابر والرؤساء والأمراء وأولي الحل والعقد ببلاده، ومالوا علىٰ البلد فقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال والنساء والولدان والمشايخ والكهول والشبان، ودخل كثير من الناس في الآبار وأماكن الحشوش وقنىٰ الوسخ وكمنوا كذلك أيامًا لا يظهرون.

كان الجماعة من الناس يجتمعون إلىٰ الخانات ويغلقون عليهم الأبواب، فتفتحها التتار إما بالكسر وإما بالنار، ثم يدخلون عليهم فيهربون منهم إلىٰ أعالي الأمكنة فيقتلونهم بالأسطحة حتىٰ تجري الميازيب من الدماء في الأزقة، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وكذلك في المساجد والجوامع والربط ولم ينج منهم أحد سوىٰ أهل الذمة من اليهود والنصارىٰ ومن التجأ إليهم، وإلىٰ دار الوزير ابن العلقمي الرافضي وطائفة من التجار أخذوا لهم أمانًا بذلوا عليه أموالًا جزيلة حتىٰ سلموا وسلمت أموالهم.

وعادت بغداد بعدما كانت آنس المدن كلها كأنها خراب ليس فيها إلا القليل من الناس، وهم في خوف وجوع وذلة وقلة.

وكان الوزير ابن العلقمي قبل هذه الحادثة يجتهد في صرف الجيوش

وإسقاط اسمهم من الديوان فكانت العساكر في آخر أيام المستنصر قريبًا من مائة ألف مقاتل، منهم من الأمراء من هو كالملوك الأكابر الأكاسر، فلم يزل يجتهد في تقليلهم إلىٰ أن لم يبق سوىٰ عشرة آلاف.

ثم كاتب التتار وأطمعهم في أخذ البلاد وسهل عليهم ذلك وحكىٰ لهم حقيقة الحال، وكشف لهم ضعف الرجال، وذلك كله طمعًا منه أن يزيل السنة بالكلية، وأن يظهر البدعة الرافضة، وأن يقيم خليفة من الفاطميين، وأن يبيد العلماء والمفتيين، والله غالب علىٰ أمره، وقد رد كيده في نحره وأذله بعد العزة القعساء، وجعله حوشكاشا للتتار بعدما كان وزيرًا للخلفاء، واكتسب إثم من قتل ببغداد من الرجال والنساء والأطفال؛ فالحكم لله العلي الكبير رب الأرض والسماء.

وقد اختلف الناس في كمية من قتل ببغداد من المسلمين في هذه الوقعة؛ فقيل: ثمانمائة ألف، وقيل: ألف ألف وثمانمائة ألف، وقيل: بلغت القتلىٰ ألفي ألف نفس؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وكان دخولهم إلىٰ بغداد في أواخر المحرم وما زال السيف يقتل أهلها أربعين يومًا، وكان قتل الخليفة المستعصم بالله أمير المؤمنين يوم الأربعاء رابع عشر صفر، وعفىٰ قبره وكان عمره يومئذٍ ستًّا وأربعين سنة وأربعة أشهر، ومدة خلافته خمس عشرة سنة وثمانية أشهر وأيام، وقتل معه ولده الأكبر أبو العباس أحمد وله خمس وعشرون سنة، ثم قتل ولده الأوسط أبو الفضل عبد الرحمن وله ثلاث وعشرون سنة، وأسر ولده الأصغر مبارك، وأسرت أخواته الثلاث فاطمة وخديجة ومريم، وأسر من دار الخلافة من الأبكار ما يقارب ألف بكر فيما قيل، والله أعلم؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وقتل أستاذ دار الخلافة الشيخ محيي الدين يوسف بن الشيخ أبي الفرج ابن الجوزي، وكان عدو الوزير، وقتل أولاده الثلاثة عبد الله، وعبد الرحمن، وعبد الكريم، وأكابر الدولة واحدة بعد واحد منهم الديودار الصغير مجاهد الدين أيبك، وشهاب الدين سليمان شاه، وجماعة من أمراء السنة وأكابر البلد.

وكان الرجل يستدعىٰ به من دار الخلافة من بني العباس، فيخرج بأولاده ونسائه فيذهب به إلىٰ مقبرة الخلال تجاه المنظرة فيذبح كما تذبح الشاة، ويؤسر من يختارون من بناته وجواريه.

وقتل شيخ الشيوخ مؤدب الخليفة صدر الدين علي بن التيار، وقتل الخطباء والأئمة وحملة القرآن، وتعطلت المساجد والجماعات والجمعات مدة شهور ببغداد.

وأراد الوزير ابن العلقمي -قبحه الله ولعنه- أن يعطل المساجد والمدارس والربط ببغداد، ويستمر بالمشاهد ومحال الرفض، وأن يبني للرافضة مدرسة هائلة ينشرون علمهم وعليها بها وعليا فلم يقدره الله تعالىٰ علىٰ ذلك، بل أزال نعمته عنه وقصف عمره بعد شهور يسيرة من هذه الحادثة، وأتبعه بولده فاجتمعا -والله أعلم- بالدرك الأسفل من النار.

ولما انقضىٰ الأمر المقدر وانقضت الأربعون يومًا بقيت بغداد خاوية علىٰ عروشها ليس بها أحد إلا الشاذ من الناس، والقتلىٰ في الطرقات كأنها التلول وقد سقط عليهم المطر فتغيرت صورهم، وأنتنت من جيفهم البلد، وتغير الهواء؛ فحصل بسببه الوباء الشديد حتىٰ تعدىٰ وسرىٰ في الهواء إلىٰ بلاد الشام، فمات خلق كثير من تغير الجو وفساد الريح، فاجتمع علىٰ الناس الغلاء والوباء والفناء والطعن والطاعون؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ولما نودي ببغداد بالأمان خرج من تحت الأرض من كان بالمطامير والقنا والمقابر كأنهم الموتىٰ إذا نبشوا من قبورهم، وقد أنكر بعضهم بعضًا؛ فلا يعرف الوالد ولده، ولا الأخ أخاه، وأخذهم الوباء الشديد فتفانوا وتلاحقوا بمن سبقهم من القتلىٰ، واجتمعوا تحت الثرىٰ بأمر الذي يعلم السر وأخفىٰ الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنىٰ.

وكان رحيل السلطان المسلط هولاكوخان عن بغداد في جمادىٰ الأولىٰ من هذه السنة إلىٰ مقر ملكه، وفوض أمر بغداد إلىٰ الأمير علي بهادر فوض إليه الشحنكية بها وإلىٰ الوزير بن العلقمي، فلم يمهله الله ولا أهمله، بل أخذه أخذ عزيز مقتدر في مستهل جمادىٰ الآخرة عن ثلاث وستين سنة، وكان عنده فضيلة في الإنشاء ولديه فضيلة في الأدب، ولكنه كان شيعيًّا جلدًا رافضيًّا خبيثًا، فمات جهدًا وغمًّا وحزنًا وندمًا»[١].

ومن خلال تأمل كلام ابن كثير يتضح أن من أهم أسباب سقوط بغداد علىٰ يد التتار:

١- ضعف الإيمان و انتشار المعاصي.

٢- عدم الاهتمام بعدة الجيش وتسليحهم وإعطائهم ما يغنيهم.

٣- البطانة السيئة للخليفة العباسي.

وإذا كان زمان التتار قد أصبح في عداد الماضي وبين صفحات التاريخ وكلما قلبنا تلك الصفحات ملئ القلب حزنًا وكمدًا.

* * *

---

(١) البداية والنهاية (ج١٣/ ص٢٠٤).

الفصل الخامس: صفحات مطوية من الساحة العراقية في زمن الاحتلال

فكيف بنا ونحن نعيش صفحات لم تكتب بعد لازالت حاضرة أمام العيان، صفحات مليئة بالأحزان مليئة بالجراحات، إنها صفحات الاحتلال الجديد.

وتأمل حال بغداد وما أصابها في زمن التتار، ثم تأمل هذه الصفيحات القليلة التي كتبتها فيما أصاب بغداد في الزمان الحاضر؛ تجد أن التاريخ يعيد نفسه كما يقال، فالأسباب هي هي، والنتائج هي هي، والله المستعان.

العراق ذلك البلد الصغير الكبير بمشاكله وهمومه وكثرة الفتن فيه؛ فالكل عندما يذكر بغداد تختلج في صدره العبرات، وتتساقط على خده الدمعات، وإن كانت الاتجاهات متنوعة ومختلفة، وكذلك كل يذكر من بغداد ما يحلوا له.

فأهل العلم عندما يتذاكرون العلم ويذكرون بغداد وكيف كانت رائدة للعلم والعلماء يذكرون أيام أبي حنيفة النعمان، أو أيام أحمد بن حنبل، والشافعي وغيره.

وأهل الأدب والشعر يبكون على أطلال بغداد شوقًا وحنينًا.

وأهل الصناعة والرقي لا ينسون كيف عانقت بغداد الجبال تطورًا وبناءً.

وأهل الزراعة تعيش في مخيلتهم تلك البساتين والجنان الخضراء على ضفاف الفرات كأروع ما يكون، وكيف تعانق بساتين النخيل السحب ويحدوهم

الشوق إلىٰ رؤية الشمس وهي تمد بأشعتها لتنعكس علىٰ أمواج الفرات.

فالكل يأخذ من بغداد ما يحلو له، ولكن في النهاية الكل يبكون علىٰ ما أصاب بغداد، وصدق ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو يصف ما حل ببغداد أيام التتر فيقول: «وعادت بغداد بعدما كانت آنس المدن كلها كأنها خراب».

وسقطت بغداد وتحولت كأنها غابة تتصارع فيها الوحوش الكاسرة ليس للضعيف فيها مأوىٰ، وليتك معي تسير في شوارعها وأنت تتأمل ما أصاب بغداد.

أين الطائرات والدبابات؟

أين الجيوش الجرارة؟

أين المنشآت العملاقة؟

لا ترىٰ إلا الدمار والخراب وبيوت مهجورة، ووزارات منهوبة، وشوارع مخربة.

صفحات كثيرة لا أدري بأيها ابتدئ، فكلما قلّبت صفحات الماضي بكىٰ القلب حزنًا لما أصاب بلادي.

* * *

صفحات قبل الاحتلال

الصفحة الأولىٰ:

من المعلوم أن العراق مرَّ بحرب طويلة مع إيران حصدت الكثير من الرجال ما بين قتيل ومفقود، فلا تكاد تجد بيتًا إلا وقد فجع بموت قريب أو فقده أو إعاقته، وهكذا انعكست هذه الحرب علىٰ حياة ونفسية أكثر الناس في هذه البلاد الذي لا يعرف غير سياسة الحروب؛ فالطفل يشب ويكبر وهو ينتظر دوره ليشارك في هذه الحرب طوعًا أو كرهًا، وبعد سنين عجاف أكلت الأخضر واليابس انتهت الحرب، وانطوت هذه الصفحة.

الصفحة الثانية:

إنها أشد من تلك، فما هي إلا أشهر قليلة بعد انتهاء الحرب الطويلة كان الجميع يتوقع أن يبدأ ولاة هذه البلاد الذي أكلته الحرب حياة جديدة يبني فيها ما تهدم في سنين عديدة.

ولكن ما هي إلا لحظات قليلة، فإذا بالجيش العراقي يعانق البحر بعد أن التقم دولة آمنة وجرىٰ فيها من الحروب وسفك الدماء ما لا يعلمه إلا رب الأرض والسماء.

الصفحة الثالثة:

لقد حانت ساعة الصفر في ساعة متأخرة من الليل، استيقظ أبناء هذه البلاد

العليل على دويّ الانفجارات، وأصوات الطائرات، وصواريخ تنطلق من البحار لتسقط على المنشآت والعمارات، لتستيقظ المستشفيات من الصباح وهي تستقبل الجرحى، وتستعد المقابر لتستقبل الموتى.

هدم، وحرق، وخراب نال كل شيء.

فما بين صراخ الأطفال وعويل النساء قضى العراقيون هذه الصفحة المليئة بالأحزان والآلام والآهات.

الصفحة الرابعة:

بعد أن استقرت الأمور الأمنية، بدأت صفحة أخرى هي أعظم بكثير من تلك الصفحات، إنها صفحة الحصار.

فبعد الدمار والحرق الذي شمل كل مرافق الحياة: انعدام الوقود، وانقطاع الكهرباء، وخراب المدارس والمستشفيات؛ وجد العراقيون أنفسهم أمام أزمة ضيقه جدًّا ألا وهي فقدان الغذاء، حتى أكل الكثير من العوائل علف الدواب مع كثرة الخيرات، وهكذا مرت هذه السنوات ثقيلة مع ما رافقها من فساد إداري شمل كل القطاعات؛ بسبب الغلاء وقلة المؤنة والمعونات.

الصفحة الخامسة:

بعد كل هذه العقود الطويلة القاسية تتأهب البلاد مرة أخرى لحرب حاسمة.

تتسارع الأيام وتتلبد مرة أخرى بدخان الحرب السماء، فبينما كانت بعض العوائل تخزن الغذاء كانت عوائل أخرى تتهيأ لمغادرة الأماكن القريبة من الأهداف العسكرية، أما أصحاب الأسواق فأخلوا أسواقهم ومحلاتهم خوفًا من الدمار أو الحرق أو النهب.

أما أصحاب السياسة الخفية فبدءوا بعقد الصفقات مبكرًا مع أمريكا، إنها

أيام قليلة ساعات سريعة تتسارع فيها نبضات القلب كلما اقتربت ساعة الصفر، إنه هدوء الليل ولكنه هدوء يسبق العاصفة كما يقال.

ساعة متأخرة من الليل بينما رقد الناس وإذا بأصوات الطائرات والانفجارات التي تهتز لها الأرض فضلًا عن البيوت الصغيرة.

أصوات مرعبة لكنها أصبحت مألوفة، أشرقت شمس الصباح لا ترىٰ إلا بيوتًا مهدمة، أطفال يتصارخون، نساء تبكي.

مشهد يقف الإنسان حائرًا لما يسمع ويرىٰ، تعجز الكلمات عن وصفه، يضيق الصدر عبرات كلما مرت بالبال تلك الذكريات المحزنة ولما أصاب البلاد بسبب ذنوب العباد.

وصدق الله العظيم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ [يونس:٤٤].

فكل قرية وكل شارع وكل مدينة وكل عائلة تحمل معها الهموم والقصص الحزينة.

الصفحة السادسة:

أيام قليلة وإذا بتلك الدولة التي ملئت الدنيا ضجيجًا قد أصبحت خرابًا.

أين قوىٰ الأمن؟ أين الحرس؟ أين الجيش؟ كل شيء ذهب كأنه سراب.

❊ ❊ ❊

صفحات سنوات الاحتلال

النازلة الأولىٰ التي هي اجتياح العراق من قبل قوات الاحتلال تفرع من هذه النازلة نوازل كثيرة وشديدة علىٰ مدار الخمس سنوات، ومنها:

الصفحة الأولىٰ: صفحة السلب والنهب:

وجاءت الساعة التي وقعت فيها الكارثة الحقيقية التي وقعت بهذه البلاد؛ فبدأ مشهد عجيب لا يوصف: نهب وسلب وحرق وتكسير وتدمير، وكنا نتوقع أن يحدث ذلك من المحتل الكافر، ولكن هذا حدث من قبل العراقيين أنفسهم؛ حيث دمروا وحرقوا ونهبوا كل شيء يمكن أن يتحرك من مكانه، والذي عجزوا أن يحملوه حرقوه ودمروه.

الصفحة الثانية: قتال المحتل، وهذه الصفحة تشتمل علىٰ المراحل التالية:

أ- مرحلة الدعوة للمقاومة باسم الجهاد:

ب- بدأت بعض الجماعات الحزبية ومن أجل كسب عواطف الناس لأغراض حزبية تدعو للتعاون مع الجماعات المسلحة التي وفدت من الخارج، ونشر الخطب الحماسية لخطباء معروفين بالحماسة غير المنضبطة وحث الشباب للانخراط مع هؤلاء القادمين من الخارج بدعوىٰ معرفتهم لصنع المتفجرات واستخدام الأجهزة الإلكترونية في تفجيرها.

لم تكن في السنة الأولىٰ الرايات متميزة كثيرًا، ولم تظهر القيادات بصوره بارزة.

وعلىٰ الغالب لم تكن تلك الجماعات منظمة تنظيمًا شموليًّا في السنة الأولىٰ بدأت العمليات القتالية ضد المحتل، وبدأت ردود الفعل ولكنها محدودة في بداية الأمر، ومن الطبيعي أن تزداد مع ازدياد المقاومة، وبدأت عمليات المداهمة، ثم فتحت السجون وهكذا رويدًا رويدًا.

الصفحة الثالثة: الفلوجة وأثرها في تفرق المقاومة تفرقًا كثيرًا:

الفلوجة مدينة صغيرة تقع غرب بغداد وهي قضاء تابع لمحافظة الأنبار ذات المساحة الواسعة، تمتد حدودها مع سوريا والأردن والحدود السعودية، وهذا الامتداد كان له دور كبير في دخول الكثير من المقاتلين العرب غير العراقيين إلىٰ البلاد.

والكلام علىٰ هذه المدينة من عدة نواحي:

أ- **الناحية الجغرافية:** هي مدينة صغيرة يحيط بها من جهة الغرب نهر الفرات المعروف، ومن جهة الشرق خط السيارات السريع.

ب- **من الناحية الاجتماعية:** تتجمع فيها مزيج من العشائر العربية محافظة نوعًا ما علىٰ التقاليد العربية.

ج: **من الناحية العقائدية:** الغالب علىٰ خطبائها ودعاتها التصوف ومن يساعدهم علىٰ ذلك من الحزبيين، وكانت الدعوة السلفية في هذه المدينة محاربة بشدة.

موقفها من الاحتلال: من المعلوم أن كثيرًا من المحافظات مثل الأنبار وصلاح الدين ومن ضمنها الفلوجة لم يحدث فيها قتال في بداية الدخول، بل قررت عدم القتال والسماح للقوات الغازية الدخول سلميًّا بدون مقاومة تذكر.

سبب شهرة الفلوجة: الفلوجة حدثت فيها معركتان، الأولىٰ كانت سببًا لاجتماع الكثير من الرايات بعد أن أعلنت أمريكا أنها فشلت في دخول المدينة، وأن فيها مقاومة شديدة!

ولعل ذلك مؤامرة من أجل أن تصبح المدينة هذه ساحة لاستقطاب المئات من المقاتلين بل الآلاف وكذلك كمية كبير ة جدًّا من الأسلحة.

ثم جاءت اللحظة التي هددت فيها القوات الغازية بدخول المدينة وجهت القوات الغازية إنذارًا لجميع المدنيين بمغادرة المدينة لأنها ستضرب بقوة.

طوقت المدينة الصغيرة بالدبابات من كل جانب، الدخول والخروج من المدينة غير مسموح به، نزحت جميع العوائل من المدينة بمنظر مأساوي يدمي القلب؛ فبعض العوائل التجأت إلىٰ الأقارب، والبعض إلىٰ من يستضيفه، وهذه ميزة العربي بصورة عامة وأبناء العشائر بصورة خاصة حيث يتسابقون لإغاثة الملهوف وإعانة المحتاج وخصوصًا في زمن النوازل، والبعض سكن في مخيمات وضعت في العراء.

بداية المعركة: لاشك أن الأعلام وما ينقل في الفضائيات لا يعبر عن حقيقة الموقف، أما حقيقة الأمر فلا يعرفها بدقة إلا من عاشها عن قرب، كنتُ قد ذهبتُ لوليمة لم أعرف سببها بعد وعند الوصول تبين لي إن سبب هذه الوليمة كانت لأحد المقاتلين الذين نجوا من جحيم الفلوجة، وهو يحدث عن الخطة المرسومة للمقاتلين هناك وكيف كانت النتائج.

فيقول باختصار: كانت الخطة أن قسمنا إلىٰ ثلاثة خطوط: خط في المقدمة بمواجهة العدو، وخط إسناد، وخط في الخلف، و ما هي دقائق حتىٰ بدأ قصف شديد من البر ومن الجو، حتىٰ اهتزت المدينة وتحولت إلىٰ قطعة من نار لم

يستطع أحد أن ينسحب فضلًا علىٰ أن يقاتل، ففي ظلمة الليل استطعت أن أنسحب علىٰ أمل أن أجد خط الإسناد، وإذا بالجميع حائر كيف يستطيع النجاة، وعند الصباح الثاني دخلت القوات الغازية المدينة بعد أن حولتها وبمنتهىٰ الوحشية إلىٰ أنقاض مع عشرات القتلىٰ، وفي الصباح وإذا بالمساجد الشاهقة تدنس بالقناصين الذين يضربون وبدون تميز كل من يخرج إلىٰ طرقات المدينة.

يقول هذا الشخص: بقينا عدة أيام ونحن في أحد البيوت، وبالطبع ليس عندنا سلاح؛ لأن القوات بدأت بعمليات بحث عن المقاتلين، فمن وجدت عنده السلاح فإما يقتل بالحال أو يعتقل إلىٰ السجون الأمريكية، وبعد عدة أيام دخلوا علينا ولولا لطف الله بنا لساموا سوء العذاب، ولكن أخبرناهم أننا من أهل المدينة، فخلي عن سبيلنا بعد اعتقالنا لعدة أيام، بعد ذلك دخلت القوات الغازية المدينة بعد أن تحولت إلىٰ خراب، والآن نسأل العقلاء ما هي النتيجة ؟

الصفحة الرابعة:

بعد معركة الفلوجة وسيطرة القوات المحتلة وتطويق ومحاصرة المدينة، وفرض نظام البطاقة عليها فلا يخرج منها أحد ولا يدخلها إلا ببطاقة تعريف خاصة، بعد هذا قررت بعض الجماعات المسلحة بالاستجابة لما يسمىٰ بالمشروع السياسي، وبهذا التحول بدأت صفحة جديدة وهي الصراع مع تنظيم القاعدة المعروف بقسوته وأنه يعتبر هذا التحول ردة عن الدين.

الصفحة السادسة: حروب الردة:

هكذا كان يسميها أعضاء تنظيم القاعدة ويقصد بها قتال الجماعات التي قررت الدخول بالعملية السياسية، ولعل من أبرزها جماعة الأخوان المسلمين

المتمثلة بما يسمىٰ بالحزب الإسلامي، وبدأت الحرب بداية بتصفية كل من يثبت أنه ينتمي لما يسمىٰ الحزب الإسلامي.

وهكذا أنقلب السحر علىٰ الساحر كما يقال، وبدأ الإخوان وهم الذين يمتازون بالتلون وليس لهم منهج ثابت إقناع الناس أن سبب مصائب السنة هو تنظيم القاعدة، وبالمقابل فإن أعضاء جماعة القاعدة ينشرون بين الناس ضرورة القضاء علىٰ ما يسمىٰ بالحزب الإسلامي؛ لأنه طعن بهم وتعاون مع المحتل عليهم، وتخللت هذه الفترة عدة صفحات يطول ذكرها.

تفجر الوضع بعد تفجر قباب العسكريين في سامراء لتتحول بغداد إلىٰ ساحة للحرب الطائفية بأبشع صورها التي لم يشهد لها التاريخ المعاصر مثيلًا؛ فمساجد تقصف، ومصاحف تحرق، وجثث تلقىٰ علىٰ الأرصفة.

فما بين قتل وتهجير واعتقالات وسجون وتعذيب لم تعرف البشرية له نظير، عاش السنة مأساة حقيقية، وكان الواجب علىٰ الجماعات المسلحة السنية تتخذ من هذه الظروف سببًا لتتحد فيما بينها، ولكن الحزبية الضيقة والأهواء وحب الرياسة والمناصب حال دون ذلك، بل العجيب أنه كلما ازداد الكرب علىٰ أهل السنة ازدادوا تفرقًا.

الصفحة السابعة: إعلان تنظيم القاعدة ما يسمىٰ بالدولة الإسلامية:

أعلن تنظيم القاعدة في المناطق السنية ما يسمىٰ بالدولة الإسلامية؛ ليكون هذا الإعلان إعلانًا عن مرحلة جديدة وصفحة جديدة وهي القتال الفعلي بين تنظيم القاعدة وبين العشائر السنية التي كونت جماعات مسلحة بصورة علنية، وكانت البداية في محافظة الأنبار.

الأسباب التي أدت إلىٰ قتال القاعدة:

١- الفكر التكفيري المتطرف.

٢- عدم التثبت في إقامة الحدود حيث يقتل الشخص لأدنىٰ شبهة.

٣- عدم مراعاة الطابع العشائري الذي تمتاز به المناطق السنية وخصوصًا الأنبار؛ حيث يقتل ابن العشيرة علىٰ مرأىٰ ومسمع الجميع مما ولد حقد عشائري كبير.

٤- استغلت المقاومة لتصفية الحسابات الشخصية.

صفحة (٧) وتخلل هذه المراحل صور القتل بأبشع ما عرفته الإنسانية، واستخفت فيها حرمة المسلم أيّما استخفاف ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ومن ذلك: جثث تلقىٰ علىٰ الطرقات حتىٰ تتفسخ لا يقربها أحد، ولعل **ذلك** لعدة أسباب:

١- خوفًا من أن تكون الجثة ملغمة بالعبوة الناسفة.

٢- أملًا في أن يعثر عليها أهلها.

٣- أحيانًا يكتب عليها يمنع دفنها لمدة كذا يوم.

٤- أحيانًا تعلق الجثة في عمود الكهرباء.

٥- أحيانًا يقطع الرأس ويوضع فوق صدر الجثة.

٦- يربط الرجل أو أكثر ثم يوضعون فوق عبوة ناسفة ثم تتفجر بهم حتىٰ تتناثر الجثث في أبشع ما عرفته الإنسانية من قسوة.

٧- وأحيانًا تُطلق الكلاب المتوحشة المُعدة لهذا الغرض علىٰ الضحية فتنهشه كما تُنهش الفريسة.

وهذه الصور حدثت من قبل المحتل ومن قبل الجماعات المسلحة المتصارعة هناك وطالت الجميع بدون استثناء، بل حتىٰ خطباء المساجد لم يسلموا من ذلك؛ فكم من خطيب مُثل به أو حُرّق حيًّا وميتًا، والله المستعان..

وهكذا تشارف السنة الرابعة بتكوين جماعات كبيرة جدًّا مدعومة، يقتل بعضهم بعضًا، وهذا من عجائب ما يحدث في العراق، وما ندري كيف ستكون الصفحات المقبلة وعلىٰ من ستدور الدوائر، وهكذا تتشعب الفتن وتكثر ولا ينجو منها إلا ذو حظ عظيم.

نسأل الله العلي العظيم أن يجنبنا وجميع المسلمين الفتن، وأن يردهم إلىٰ دينهم ردًّا جميلًا، وأن يجمع كلمة أهل العراق علىٰ التوحيد والسنة، وأن يوحد صفهم علىٰ الصراط المستقيم، وأن يعيد لها الإيمان والأمان؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

نصيحة إلى شباب التوحيد

ونحن نعيش مرارة تسلط الكفار علىٰ المسلمين، وذلك بسبب ترك المسلمين لدينهم، وظهور الفواحش في مجتمعاتهم، ولكن مع هذا كله، لا يجوز لنا أن نستسلم لهذا الواقع، ولا نضيع أنفسنا، بل يجب علينا أن نسلك الطريقة الشرعية في التعامل مع هذا الواقع المحزن.

وبحمد الله قد جاءنا الإرشاد الصحيح في كتاب ربنا وسنة نبينا، فأخبرنا العليم الحكيم سبحانه عن حال الرسل في مجتمعاتهم، وكيف كان تعاملهم مع واقعهم، كما جاءتنا السيرة الطيبة بالأسانيد الصحيحة عن نبينا ﷺ كيف كان يتعامل مع قومه وهم أكفر الناس.

ولم نُترك لآرائنا وأهوائنا وحماساتنا فيما نحن فيه؛ فإن الفساد بكل أشكاله الذي يحصل اليوم في الأمة قد حصل في الأمم الماضية.

فقد حصل الشرك -وهو أعظم الذنوب-، وترك الصلاة والزكاة، وترك تحكيم الشريعة، وحكم الكفار المسلمين، وحصل تعذيب المؤمنين وقتلهم بغير حق، وكذلك التبرج والزنا واللواط وتطفيف الكيل والربا، بل وقع الظلم بكل أنواعه، فليس هنالك ذنب إلا وفُعل من قبل، ومن قرأ القرآن ظهر له هذا الأمر جليًّا.

فقص الله تعالىٰ علينا ذلك كله، وكيف كان حال الرسل مع قومهم في دعوتهم إلىٰ سبيل الله، وكيف صبروا عليهم ولم يتعجلوا.

ونتيجة حتمية للخلط الذي حصل بين الشباب، بواسطة أيدي منها خفية، ومنها ظاهرة، بسوء فهم أو بسوء قصد، وامتدادًا لهذه المخالفات الفكرية والسلوكية والعقدية والسياسية، حصل اليوم ما حصل من تمرد علىٰ الشريعة، وخروج عن المنهج، وخضوع لواقع ينفذ المسلمون أنفسهم مخططات أعدائهم بأيديهم من غير وعي ولا تحمل للمسئولية أمام الله تعالىٰ، حتىٰ صاروا ألعوبة يحركها الكفار كما يريدون.

وما يحصل اليوم في العراق، إنما هو جزء من هذا الواقع، وبعض من هذه الأحداث التي يدمىٰ لها كل قلب مخلص، فبأي عقل صحيح وأي دين مستقيم يُجعل شباب التوحيد علىٰ دينهم قرابين وأضاحي يضحىٰ بها قبل يوم العيد لـ بوش وأمثاله من أئمة الكفر والزندقة، حتىٰ أصبح ذلك الشاب الطيب المسكين يباع في سوق استهلاك الدماء كما يباع العبيد؟!

ولمصلحة من يُقاد شباب التوحيد ويغرر بهم، فإذا دخلوا حدود العراق، قبض التجار الفجار أثمانهم بثمن بخس دولارات معدودة، فألحقوهم بمن قبلهم ثم ينتظرون الصفقة اللاحقة؟ وهكذا!

فإذا دخل الضحية إلىٰ تلك الساحة المجهولة، التي اختلفت فيها الرايات، وتعددت الجماعات، وتناقضت الأفكار والاتجاهات، فإذا هو بواقع لم يتصوره فلا يعرف عدوه من وليه.

وبعض هؤلاء الشباب إذا انكشفت له الحقيقة وأراد الرجوع أو امتنع عن الانتحار، حكموا عليه بأنه جاسوس عميل فربطوه وفجروه، وأخبروا أهله بأنه شهيد، أو باعوه لجماعة أخرىٰ يستفيدون منه.

وبعض هذه الضحايا صار أمام الأمر الواقع، فسار في الطريق وخضع إلىٰ

الشبهات والأفكار حتىٰ يقضي نحبه، وهو علىٰ غير سبيل الحق.

ومنهم من وقع في شبهة تكفير أهل الإسلام الصحيح في نفس الوقت الذي تأتيهم المعونات من أعداء الإسلام المعروفين.

وبحسب معرفتي لواقع العراق والأحداث التي تقع فيه إنما هي مصيدة صنعها الكفار وعملاؤهم لشباب المسلمين، وهيئوا لها ظروفًا تثير الغيرة والحماسة عند هؤلاء الشباب؛ حتىٰ يندفعوا فيسقطوا فيما يريدونهم أن يسقطوا فيه، حتىٰ يخسر المسلمون آلاف الشباب، وهذا كافٍ في إرضاء الكفار للخلاص من أعداد كثيرة من خيار أهل الإسلام، فهل هنالك من يتنبه؟

وإذا لم يكن الشاب علىٰ معرفة صحيحة بدينه، وعمن يأخذ العلم، فسوف يكون فريسة سهلة لأعدائه وما أكثرهم؟!

ومن هذه التهيئة: ما يعرض اليوم في الفضائيات، وكيف أن الكفار ينتهكون أعراض المسلمين والمسلمات مع أنهم هم الذين يصورونها ويعرضونها علىٰ أعين الناس، حتىٰ أحدثوا في نفس ذلك الشاب ثورة من الحماس وفراغ يريد سده بأي شيء، ولو كان ذلك فيه هلاكه.

فصار مثل ذلك الشباب كمثل الجائع الذي قُدم له أشهىٰ الطعام، وقيل له هذا طعام مسموم، فأكل لسد جوعته ولم يصبر، فكذلك هؤلاء.

وبسبب هذه التهيئة صار أحدهم يضع المتفجرات بين جنبيه فتنفجر به ليقتل جنديًّا أو اثنين من الكفار، وهم لا يساوون شراك نعله، وربما تعدىٰ الحال فيقتل من المسلمين ولم يصب الكفار، وما تُحصل خير ولا اندفع شر، والواقع يزيد سوءًا، بل تعدىٰ الأمر إلىٰ استحلال دماء المسلمين !!

فهل من معتبر فيرجع ؟!

وهل من متعظ فيسمع ؟!

وإني لأخصّ بالذكر شباب التوحيد في بلاد الحرمين ،وإني والله ولا أرجو وراء ذلك إلا النصح لنفسي ولهم فأقول:

أما اتعظتم من أحداث أفغانستان، لما قدّمتم أكثر من أربعة عشر ألف شاب في قتالهم مع الروس، مع أنهم يكفرونكم ولا يصلون خلفكم لأنكم وهابيون في نظرهم، وقتالكم يقدمونه علىٰ قتال الكفار؟

فمتىٰ تكون الموعظة؟

وهل من يرجع إلىٰ نفسه ويعرف خطر ما يحيط به ؟

فإياكم أن تسيروا وراء سراب يحسبه الظمآن ماءً حتىٰ إذا جاءه لم يجده شيئًا، فكذلك دعاة الضلالة عندكم يمنونكم ويرغبونكم وهم ليسوا علىٰ شيء.

ونقول لهم: إن كنتم صادقين أيها المغرورون الغاوون، الذين تأمرون بخروج الشباب وأنتم قاعدون، هلا خرجتم وكنتم أول المقاتلين؟

ونقول لهم: ألا تخافون الله تعالىٰ وتتقونه حينما تزجون بآلاف الشباب المسلم في معارك خاسرة، الكفار أحرص عليها منكم، وهم الذين يستدرجونكم من خلال الفضائيات التي تبنون عليها فتواكم والتي هي بأيديهم ومن أسلحتهم في إثارتكم وإثارة الشباب، وإفسادهم وإغراقهم بفنون من الشبهات والشهوات.

ومتىٰ كان هؤلاء الإعلاميون السائرون خلف الكفار والمتأثرون بثقافتهم أعرف بالجهاد وأحكامه من العلماء الربانيين؟

فيأيها الشباب الطيب في بلاد الحرمين: من أوجب الواجبات عليكم اليوم، لكي لا تضيعوا أنفسكم وأمتكم: أن ترجعوا إلىٰ العلماء الموثوقين، الذين شابوا وبلغوا من العمر ما يمنعهم من الاستشراف إلىٰ الدنيا وزينتها، وعلماؤكم

السلفيون في بلاد الحرمين هم من خيرة العلماء في العالم اليوم -وهذا من نعمة الله عليكم-، فاستنصحوهم واسمعوا لهم فهم على خير عظيم.

وقد أخبر نبيكم ﷺ كما في الصحيحين وغيرهما: «**إن العلم يأرز إلىٰ مكة والمدينة في آخر الزمان كما تأرز الحية إلىٰ جحرها**»، حتىٰ إن الدجال لا يدخلهما، وذلك ببركة العلم وإذا ذهب العلم هلك الناس.

والعلم يكون بوجود العلماء، كما قال ابن عباس فيما رواه عنه الدارمي قال: أتدرون متىٰ يهلك الناس؟

قالوا: متىٰ يا أبا الفضل؟

قال: إذا ذهب العلم؟

قال: أتدرون متىٰ يذهب العلم؟

قالوا: متىٰ يا أبا الفضل؟

قال: إذا ذهب العلماء؟

قال: أتدرون متىٰ يذهب العلماء؟

قالوا: متىٰ يا أبا الفضل؟

قال: إذا ذهب الأول ولم يعلم الآخر [1].

وأقول لكم: لو كان في العراق علماء لما هلك أهله اليوم.

فيا شباب التوحيد: عليكم بالعلماء تعلموا منهم، وخذوا عنهم، وإياكم وأهل الأفكار المنحرفين، والقصاص المزورين، وعليكم بأكابركم، وعلمائكم وأئمتكم واحذروا المشغبين، فلا تولوا وجوهكم عن بلادكم. فأين تذهبون، إلىٰ خير من مكة والمدينة؟ فلا يخرج أحد منها إلا أبدل الله خيرًا منه فيها.

---

(١) هذا السياق غير موجود عند الدارمي.

وخاصة ونحن في زمن الفتن والملاحم، لا في زمن الفتوحات الإسلامية فلا تغتروا بما لم تتصوروا؛ فإن الفساد في غير بلادكم عريض وأنتم مستهدفون، وإن الشريعة في بلادكم حاكمة، والتوحيد ظاهر، والفساد مخفي فماذا تبغون؟!

وإن أمتكم في هذا الوقت أحوج إليكم فلا تخيبوها، ووالله إن قمتم بتربية أنفسكم علىٰ العلم النافع والعمل الصالح والدعوة الخالصة لله تعالىٰ في أمتكم فأنتم أعظم نصرة للإسلام وبناءً لجيل عظيم تنكسر عنده كل يد حاقدة علىٰ الإسلام.

فإن المنافقين والكفار يريدون بلادكم وهي هدفهم المنشود، فالتفوا حول علمائكم وأمرائكم وتناصحوا معهم ولن تخيبوا أبدًا -إن شاء الله تعالىٰ-، ومن جرب مثل تجربتي؛ عرف مثل معرفتي وقال مثل مقالتي.

والله أعلم بقصدي ونيتي، وهو أرحم الراحمين، والله الهادي إلىٰ سواء السبيل، وما قلت من خير فبتوفيق من الله، وما أخطأت فمن نفسي والشيطان(١).

* * *

(١) هذه النصيحة لفضيلة الأخ الفاضل الشيخ عبد الله الزوبعي وهي ضمن رسالة قيمة بعنوان: «لكي لا تضيع السلفية وخصوصًا في العراق».

الفِهرِس

فهرس الموضوعات